قصة حقيقية
بقلم نيرة الرزاز

رحلتي

مع السحر السفلي

بين الحياة والموت



رحلتي

مع السحر السفلي

(قصة حقيقية)

(بين الحياة والموت)

بقلم

نيرة الرزاز

إهداء

أهدي هذه القصة الحقيقية لأمي الحبيبة التي تألمت معي لحظة بلحظة، كما بكت، وعانت كثيراً ولم تتخلى عني مطلقاً .. فهى الشخص الوحيد الذي يستحق روحي بلا تفكير وبلا منافس.

مع حبي ،،،

نيرة

اسم الكتاب : رحلتي مع السحر السفلي
اسم المؤلف : نيرة الرزاز
موضوع الكتاب : قصة حقيقية
عدد الصفحات : ٨٠ صفحة
مقاس الكتاب : ١٧ × ٢٤ سم
الطباعة : مطبعة زهران
رقم الإيداع : ١٣٧٦٦/ ٢٠٠٧
التاريخ : ١٤ / ٦ / ٢٠٠٧

بســــم الله الرحمن الرحيــم

مقــدمة

نحـيـا هـذة الحيـاة قـد نضحك وقـد نبكي .. قـد نتـألم وقـد نفـرح .. الساق أحيـاناً بعيداً ونغوص في الكثير من أعمـاق الحقائق الغامضـة .

لكننـا في النهــاية نسافـر لعـالم بعيـد قـد يكون فـيـه اليـقـين لجمـيع لنكوكنا بـل قـد نجد فيـه الحـقيقة الكـاملة التي كـانت خفيـة ، والإجـابة الشافية لجميع تساؤلاتنا الحــائـرة .

في النهـاية نتـوارى تحـت الثـرى وقـد لا نغـوص في أعـمـاق الحقيـقـة الكاملة ، تلك الحقيقـة التي من الممكن أن نـلمسها بأناملنـا في ذلك العـالـم الآخـر البعـيـد الذي لـم نـره بأعيننا ومن الممكن أيضـاً ألا نلمسـها ، ذلك في عـلم الله سبحانه وتعـالى جـلّ شــأنـه .

فالحقيـقـة سـتظل دومـاً سـراً غامضاً من أسرار الوجود الخـفيـة وسيظل دائمـاً عقلنا الـصغير عـاجـزاً عن الوصول إليهـا بقدراته المحـدودة ، تلك لقـدرات التي لا تستطيع أن تتخطى حيِّـز عالمنا الصغير فـوق هـذه الأرض فـهنـاك العـديد والعـديد من الحـقائق التي لا نعلمهـا عن عالمنا كبـشـر فما بـالنـا بتلك العـوالم الخفيـة التي لا نعـلم عنهـا شـيئاً سـوى السمع فقـط ، سـتظل تلك العـوالم بالنسبة لنـا عـوالم مـبهمـة حتى وإن تعددت الأقاويل واختـلفت . ستظل الحـقيـقة مبهـمـة دائمـاً مغـلَّفـة بحجـب الغـيب بـل محصورة داخـل حيـز القيـد الحيـاتي .

لن نستطيع أن نتخطى حدودهـا أبعـد من ذلك ، وعـالم الجـان واحد من

تلك العوالم الخفية التي نسمع عنها فقط لكننا أبداً لم نرها بأعيننا كحقيقة ملموسة بين أيدينا والإنسان بطبعه شغوف يلهث دائماً خلف كل ما هو غير مرئي وغير ملموس كي يصبح بين قبضة يديه فدائماً ما نلهث خلف عالم اللاواقع ونهرب من الواقع بكل ما فيه من عذابات وآلام ظناً منّا بأننا سنجد واقعاً أفضل من واقعنا الذي نحياه .

فنحن البشر نهرب دائماً من مرارة الملموس إلى وردية اللاملموس هكذا تصورٍ لنا عقولنا الصغيرة العاجزة عن فهم الكثير والكثير من الحقائق الغائبة نهرب دائماً ونحلم بالوصول لشاطىء عالم خفي عالم نظنُّ أننا سوف نجد فيه الحلول الجذرية لجميع مشكلاتنا الحياتية ولأننا لا نعرف ما وراء خفايا هذا العالم نصدق دائماً كل ما يُقال لنا عنه وكأنه حقيقة مؤكدة لاشك فيها ولا نحاول حتى مجرد التفكير في مدى صحة الحديث أو كذبه ، وأنا امرأة كغيري من الناس كنت أجهل الكثير عن هذا العالم ، فأنا لا أختلف كثيراً عن غيري من البشر ، فقدراتي المعرفية محدودة ولكن قد شاءت لي الأقدار أن أدخل هذا العالم من أوسع أبوابه رغماً عن أنفي ، فقد دخلت مجبرة ولست مخيرة وعلى الرغم من دخولي فيه إلا أنني مازلت عاجزة عن الوصول لنقطة الحقيقة الكاملة ، برغم كل ما رأيت وبرغم كل ما أدركت من حقائق غير ملموسة لنا كبشر ، لهذا قررت أن أروي تجربتي المريرة مع هذا العالم الخفي ، أعلم أنني سأجد الكثير من الناس الذين سوف يتهمونني بالكذب ولكن معذرة ، لست أملك برهاناً أبرء به نفسي أمام من يكذبني سوى القرآن الكريم ، فهو خير برهان على وجود

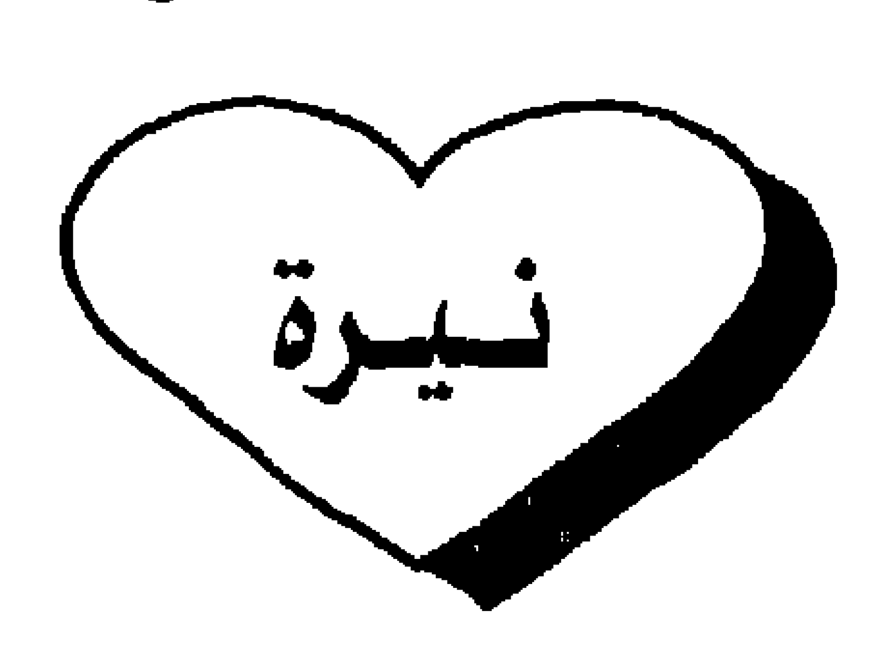
تلك المخلوقات ، ومن ينكر وجود تلك المخلوقات فهو والعياذ بالله ينكر ما ورد في القرآن الكريم فوجود هذا العالم ليس خرافة بل هو حقيقة مؤكدة لا يستساغ أن ينكرها أحد أو ينفيها وبالتالي أطالبكم بألا تقطعوا بأنني كاذبة كما لا أطالبكم بأن تجزموا بأنني صادقة ، ولكن هناك قاعدة قانونية تقول (الشك يُفسَّر دائماً لصالح المتهم) ، وبما أنني قد أكون متهمة بالكذب من وجهة نظر الكثيرين وأن كلامي يفترض الصدق والكذب فلنفترض بأنني صادقة لأنَّ وجود هذا العالم ليس خرافة بل هو حقيقة مؤكدة لا يستساغ أن ينكرها أحد أو ينفيها وبدون أن أطيل في إثبات صدق ما سوف أروي ، سأختصر ذلك في عبارة (من لا يستطيع أن يصدقني لا يستطيع أن يكذبني لأنه ليس لديه دليل قاطع على أنني كاذبة) .

وفي النهاية أشكر الله لأنني مازلت قادرة على الإحتفاظ بعقلي ولم أفقد صوابي بعد كل ما رأيت وبعد كل ما حدث لي .

ففي كثير من الأحيان يتملكني الذهول وأكاد بالفعل أن أفقد صوابي من هول ما رأيت لكني أعود لذاتي في اللحظة الأخيرة .

فالحقيقة قاسية فقد دخلت هذا العالم من أوسع أبوابه وأنا بين النوم واليقظة .. عفواً (بين الحياة والموت) فالدخول في هذا العالم موت .

♥ وما أصعب أن تموت وأنت مازلت حياً بين البشر ♥



قصـــتي

تبـدأ قصـــتي هـذه عندما كنـت في السـابعة عشـر من عـمـري ، كنت كغـيري من الفـتيـات اللواتي فـي مثـل عـمري فتـــاة عـادية للغـاية لكني كنت مـتفــوقة دراسـياً بدرجـة كـبيرة ، فـكـل ما كـان يشـغلني في تلك الأوقـات هـو دراسـتي ودراسـتـي فـقـط وفي المقـام الأول ، ولكن دوام الحـال من المحال حـيث جـاء اليـوم المشئوم ذلك اليـوم الذي دعتـني فيـه إحدى صديقاتي لزيارتها ولكني اعتذرت في باديء الأمر متعللة باستذكار دروسي لكنهـا ألحّـت عـليّ بشـدة إلى أن إستـسلمت ووعدتها بأن أذهـب لزيارتها بعـد حضور حفـل عقـد قـران كنت مدعوة إليـه ، وبالفعـل جـاء يـوم حـفــل عـقـد القـران وذهـبت وكنـت في أبهى صــورة لي في ذلك اليـوم وبينما أنـا جالسـة بين المدعـوين وجـدت صديقتي هـذه التي قـامت بدعوتي لزيـارتها تتجـه صـوبـي ، حيث أنهـا هى الأخـرى كـانت مدعـوة لحضـور ذلك الحفـل وبمجـرد أن رأيتهـا نهضت من فـوق المقعـد وتبادلت معهـا التحيـة وبادرتني بالسـؤال (هتيجي معـايا) فقلت إن شـاء الله .

وانتهي الحفـل وبالفـعـل ذهبت معها إلى منزلها وأحـسست بإحسـاسي الفطري بأنّ هنـاك شـيئاً غـير عـادي يحـدث ، فقـد لاحظت عليهـا حـالة من الإرتبـاك والتوتـر الشديدين هى ووالدتها لكنني لم أهتـم فقـد علّلت ذلك بغـيـرتهـا الشـديدة منّي ، فـهى دائمـاً كـانت تغـار مـنّي وليس منّي وحـدي بـل من كـل فـتـاة جـميلة كـانت تراهـا لأنهـا لـم تـكـن تمتلك القـدر الـكـافي من الجــمـال الذي يؤهلهــا للزواج مـبـكـراً أو لأى شيء

آخـــر ، وفي قــرارة نفسي أشـفقت عليهـا لهـذا لـم أهـتـم بتوترها بـل لـم أهتـم بهـا كليـة ، وبعـد مـرور حـوالي خمس دقـائق وجدتهـا تتركني هى ووالدتها وتذهبـان سـوياً ثم تعـودان بعـد ذلك لإعطائي كـوباً من الشـاى وقـبـل أن أمـد يدي لأخـذه وجـدت والدتهـا تقـول لي (كان مـالـه ابني مـش عاجبك فيـه إيـه) .. (أمَّـا نشـوف حـتتجوزي مـين أحسـن منـه) ، ولـم أعلِّق سـوى بكلمة واحـدة وهـى (الجـواز ده قسـمة ونصـيب) ، فـلم أشـأ أن أجـرحـها وأبـرر لهـا سـبب رفضي للزواج مـنـه فالمبـررات كثـيرة .

لهـذا لـم أتفـوَّه سـوى بكلمـة (الجـواز ده قـسـمـة ونصـيـب) ولكنهـا أخـذت ترمقني بنظـرة حـادة يملؤها الحقـد والدهـاء وتقـول إشـربي الشاى!

ولاحظت في بـادىء الأمـر أنَّ لـون الشـاى كـان داكنـاً بـعض الشيء ولكن نظـراً لصـغر سنِّي وقلَّـة خبـرتي لم أهتـم بالأمـر ، فكـل مـا فعلت هـو أنـني امـتنعت عـن شـربه لكنهـمـا أخـذتـا تلحـان عـلـىَّ بشـدة أن أحتـسيه ، وبعـد إلحـاح شـديد مـن جانبهـما وإرضـاءً لهـمـا حاولت أن أحتسـيـه ولكـن بمجـرد وضـع كـوب الشـاى على فـمي وجـدت رائحـة كـريهـة للغـاية تنبـعث منـه لدرجـة أنني أحـسـست برغبـة في التـقـيؤ وتراجعت في تلك اللحظة وأعـدت كـوب الشـاى فـوق المنضدة فأخـذتا ترمقاني بنظـرة حـادة للغـاية همـا الاثنتـان ثم قـالت لي والدتهـا إشـربي فـقلت لهـا وأنـا أشـعـر بالإمـتعـاض لأنَّ رائحـتـه مـقـززة تشـبـه رائحـة السـمك العفـن بأنني لا أودُّ أن أشـرب ولكنها تمـادت في إلحـاحها فقلت لهـا حـاولي أن تتذوقيه .

ولكني وجدتها في تلك اللحظة ترتبك بشدَّة وامتنعت عن تذوقه وتعللت بأنّ الطبيب منعها من شرب الشاى ، وبعد محاولاتها الكثيرة والمملة معي احتسيت نصف الكوب تقريباً ثم رفضت بعد ذلك بشده أن أحتسي ما تبقى في الكوب ، وبمجرد أن وضعت الكوب فوق المنضدة وجدت أساريرها تنبسط هى وابنتها وكأنهما خاضتا معركة حربية ضارية ، وبعد عناء ومشقة قد تحقق لهما النصر فيها حيث قالت الأم (مش مهم تشربيها كلها المهم إنّك شربتي شوية وماكسفتيناش) .

تأثير السحر

ومرَّت الأيام بعد ذلك ولكنها اختلفت عن سابقاتها فقد أصبحت من الطالبات الفاشلات بعد أن كنت من المتفوقات دراسياً ، كنت أشعر بأنَّ عقلي خاوي من أى معلومات على الإطلاق ، فقد كنت معظم الوقت شاردة تائهة الكل يتحدث من حولي وأنا صامتة لا أسمع ما يقولون لا أعي عما يتحدثون ولاحظ الجميع تبدل أحوالي للأسوأ كما لاحظوا شرودي وعدم تركيزي ولا مبالاتي الدائمة بكل شيء حولي ..

وبمرور الأيام تطور الأمر لأبعد من ذلك أصبحت أكره المنزل بدرجة كبيرة ، كرهت أبي .. كرهت أمي واخوتي كرهت كل الأشياء من حولي ، بل أصبحت كل الأشياء سوداء في عيني وكأنني أحيا في ليل قائم ليس فيه بصيص من الضياء ، بدأت أتشاجر معظم

الوقت مع أبي وأمي وأترك لهم المنزل وأهيم في الطرقات لا أدري إلى أين أنا ذاهبة ، كما بدأت قصة هروبي من المدرسة تتكرر لدرجة أنني انقطعت في النهاية انقطاعاً كلياً عن الدراسة ورسبت للمرة الأولى في حياتي .

تسربت جميع أحلامي من رأسي كما يتسرب الماء من بين الأنامل انزويت بين أركان غرفتي الباردة كل ما كان يحتويني في تلك الأيام هو الخوف والخوف من كل شيء حولي .

وللأسف الشديد لم تكن أمي تُدرك كل ذلك بل كانت تتهمني بأنني فتاة فاشلة وقليلة الأدب ، ومرت الأيام بي وأنا أجاهد ذاتي علّني أستطيع تعويض ما فاتني من دراستي ولكن كانت حياتي تسير للوراء دائماً ، فمعظم الوقت كنت حبيسة خلف جدران غرفتي أبكي وبدون أي أسباب تدعو إلى البكاء ، وكانت حالة البكاء تزداد عند الغروب كنت أشعر في تلك اللحظات بأنني أموت ببطء وكأنّ هناك من يقوم بخنقي لكني لا أراه كما كان ينتابني إحساس بالذعر من اللاشيء وضيق في الصدر وصداع رهيب يكاد أن يفتك برأسي وبمجرد أن يأتي الليل أسجن ذاتي داخل غرفتي ثم أظل قابعة فوق فراشي شاردة تائهة إلى أن يأتي الصباح .

فالليل كان حياتي والنهار هو ساعات نومي وكأنني قد كُتب عليَّ أن أكون عكس البشر في كل شيء ، كنت أجلس طيلة الليل وحدي ، لم أكن أفعل أى شيء سوى الصمت والجلوس فوق الفراش

أفكر في اللاشيء كانت الساعات تمر بدون أن أشعر بها إلى أن يأتي الصباح .

مرّت الأيام بي هكذا على تلك الوتيرة لم يتبدل في أحوالي شيء بل ازدادت أحوالي سوءاً وانعزالاً عن الناس وخوفاً وفشلاً في كل شيء إلى أن جاء يوم ورأيت في منامي امرأة زنجية وكأنها قادمة من جنوب إفريقيا نظراً لسواد بشرتها تهمس لي (أنت مسحورة) وأخذت تكررها على مسمعي أكثر من مرة ، وسألتها يعني إيه ؟

فقالت : يعني تفشلي في كل شيء .. العمل معمول لك على شعرك وحاجة شربتيها ودخلت جسمك ، ثمّ تركتني واختفت بعد ذلك .

واستيقظت من نومي مفزوعة وجلست حوالي نصف الساعة تقريباً ثم عاودت النوم من جديد فإذ بي أرى تلك الصديقة وأمها تجريان خلفي بشدّة وأنا أجري محاولة الهروب منهما لكنهما تحاولان بكل الطرق أن تمسكا بي ، وبعد مطاردة دامية في المنام أمسكتا بي وقامتا بخنقي فأفقت على ذلك المشهد وأنا أصرخ بشدة وأنتفض من فوق فراشي كي أذهب لأمي وأخبرها بما رأيت لكنها لم تهتم وقالت (روحي نامي وبطّلي أوهام) وأحسست بأنني في مأزق كما أحسست بخيبة أمل شديدة .

ومرّت الأيام بي ولكن الأحلام المزعجة كانت تطاردني ، كما كانت تلك السيدة وابنتها تقومان بمطاردتي دائماً في منامي كما كانت تطاردني الحيوانات السوداء الضخمة والتي لا أعلم ماهيتها ولكني كنت

أقاوم بالصلاة وقراءة القرآن الكريم وأحسست بأنَّ حالتي بدأت تتحسن بعض الشيء لكني لم أعد لحالتي الأولى ، ولأنَّ الله دائماً مع المظلوم ، فقد يسَّر لي أن أنجح في دراستي في تلك السنة وكان نجاحي نجاحاً كما يقولون (بالعافية) بعد أن كنت من الطالبات الأوائل وهذا من لطف الله بي . ومرَّت بي الأيام وأنا أنجح عاماً وأرسب عاماً آخر إلى أن التحقت بالثانوية العامة .

وكالعادة رسبت في العام الأول وضاعت منِّي سنة أخرى ، لكني حصلت عليها في العام التالي بمجموع ضعيف والتحقت بكلية الحقوق بمعجزة إلهية وكأى فتاة في مثل هذه السن يهرع إليها الخطاب كنت أنتظر أن يأتيني من يطلب ودِّي لكنه لم يحدث ، فقد كنت مختلفة عن أى فتاة حيث أنه لم يكن يأتيني أى شخص وذلك بعكس جميع صديقاتي وقريباتي لدرجة أنَّ أمي استاءت من ذلك الوضع للغاية ، فكل من هن في مثل عمري قد تمت خطبتهنَّ بل منهن من تزوجن بالفعل وأنجبن إلا أنا .

وبدأت أمي تشعر بالخوف للمرة الأولى بل ازداد خوفها أكثر عندما بدأ يتردد بين الناس أنَّ تلك السيدة تقوم بإيذاء الآخرين عن طريق الأسحار ظناً منها بأنهم تسببوا في عدم زواج ابنتها ، وبالفعل قد قامت بإيذاء ثلاث فتيات أكبر منِّي سناً ظناً منها بأنَّ أمهاتهنَّ قد تسببن في عدم زواج ابنتها وقد كنت أنا البنت الرابعة ، وبالفعل قد تأثر هؤلاء الفتيات بتلك الأسحار اللعينة ، فمنهن من أصيبت

بحالة هستيرية (حالة صرع جني) وقد فشل جميع الأطباء في علاجها .

ولكن بعد صبر وسنوات عذاب طويلة مع الأطباء والعلاج بالقرآن الكريم قد شفاها الله وتزوجت في سن متأخرة بعض الشيء ، أما الفتاة الثانية فهى لم تتزوج إلا في سن الأربعين بعد أن ضاعت أجمل سنوات عمرها في العنوسة ، أما الفتاة الثالثة فهى لتلك اللحظة التي أخط فيها كلماتي هذه لم تتزوج ولم تُخطب بعد وذلك على الرغم من بلوغها سن التاسعة والثلاثين بالإضافة لمركزها الجامعي المرموق ودرجة جمالها التي تؤهلها للزواج من أى شخص محترم ..

والكارثة أنَّ تلك السيدة التي قامت بارتكاب كل تلك الجرائم والأسحار الشريرة تعترف وأمام الجميع بأنها تقوم بإيذاء الآخرين بأفعالها الشريرة الخفية ، ومبررها الوحيد هو أنَّ ابنتها لم تتزوج بعد وأنَّ الآخرين هم من تسببوا في عدم زواجها وأصبحت شهرتها في عالم السحر والأعمال الشريرة كالنار على علم لدرجة أنَّ الجميع قد قاموا بمقاطعتها خشية أن تصيبهم لعنة أفعالها الشريرة فهى لا تخشى شيئاً مهما كان .

فقد قامت بعمل تلك الأسحار الشريرة لأحد أقربائها المتزوجين ، وانتهت الزيجة بالطلاق .

ومبررها أن تلك الزوجة كانت دائمة الشجار معها كما أنها تسببت في عدم زواج ابنتها ، لهذا انتقمت منها مجازاة لها .

كما قامت بعمل تلك الأسحار لجارة لها فأصيبت بحالة من الصراخ والبكاء والهروب المتكرر من المنزل رغبة في الطلاق ، لكنّ الله قد شفاها بعد معاناة كبيرة مع المرض .

كما قامت بعمل تلك الأسحار لكل شخص لديها عنده مصلحة وكأنّ الذهاب للسحرة أصبح هواية لديها فقد طافت معظم البلدان التي يشتهر عنها بأنّ بها ساحر قوي كما قامت ببيع عدّة ممتلكات لها كي تدفع الأموال للسحرة لتلبية احتياجاتها سواء كان ذلك في إيذاء الآخرين أو في قضاء مصلحة تودها من أي شخص .

اشتهرت بذلك لدرجة كبيرة حتى أنّ الأطفال الصغار كانوا يخشون المرور من أمام منزلها ويهرولون بسرعة ويقولون (يلا نجري بسرعة أحسن صاحبة البيت ده بتأذي الناس وبتعمل أعمال) .

حتى الأطفال أصبحت بالنسبة لهم مصدراً للرعب والذعر وكأنها (أمّنا الغولة) .

وكانت تعلم ذلك جيداً لكنها تمادت أكثر في الإيذاء بل كانت تتباهى بذلك وتقول : (أنا لازم أوقف حال الناس كلها زى ما وقّفوا حال بنتي) .

وهكذا أخذت العاطل بالباطل كما يقولون .

كانت تصحو من الليل بعد أن ينام الجميع حاملة في يدها زجاجة مليئة بالمياه المقروء عليها الطلاسم والتعاويذ كي تقوم برشها أمام أى منزل بينها وبين سكانه عداوة من أى نوع .

حتى المنازل التي لم يكن بينها وبينهم عداوة لم يسلموا من إيذائها فكان الإيذاء يصيبهم لمجرد أنَّ لديهم بنت جميلة يتهافت عليها الخطَّاب وكأنها أصبحت امرأة مريضة لا تود لأى فتاة أن تتزوج ، فقد انتابتها عقدة كانت أعراضها كره الآخرين وإيذائهم .

وعلى الرغم من أن الجميع كانوا يعلمون كل ذلك عنها إلا أنهم لم يستطيعوا أن يمنعوها من دخول منازلهم بل اكتفوا بمقاطعتها وعدم الذهاب لمنزلها فقط وذلك خوفاً منها ، وكانت أمي من هؤلاء الناس فهى لم تستطع أن تتخذ موقفاً إيجابياً بل كانت تستقبلها في منزلها ولست أعلم هل كان ذلك خوفاً منها أم عدم تصديق أو اعتقاد في السحر وأضراره بصفة عامة .

لكنها بعد أن رأت أن جميع صديقاتي قد تمَّت خطوبتهنَّ ومنهنَّ من تزوجن بالفعل بدأت تشعر بالقلق في قرارة نفسها وعلى الرغم من شعورها بالقلق فهى لم تهتم بل تركت الأمور تسير كما هى بالنسبة لي حتَّى وإن كانت تسير إلى الوراء لا يهم ، لكني أنا التي اهتممت بالأمر وذهبت للمرة الأولى في حياتي لأحد الأشخاص الذين يقومون بحل الأسحار بعد أن نصحتني أم صديقة لي بالذهاب إليه

وبالفعل قد ذهبت إليه وبمجرد أن نظر في وجهي قال تعالي هنا ووضع يده فوق رأسي ثمَّ قال : (ماتشربيش حاجة من إيد حد بعد كده أبداً) ، (وماتخليش حد يطول شعر راسك) .

وتعجبت من كلماته فهو لا يعرفني وأنا لم أخبر أى شخص بأنني قد شربت ذلك الكوب الملعون عند صديقتي هذه ، وازداد تعجبي بعد أن أخذ يسرد لي ما أشعر به من صداع وخوف وخاصة عند الغروب والانزواء بين جدران غرفتي وهروبي المتكرر من المدرسة ومن البيت وفشلي في الدراسة وعدم خطبتي لتلك اللحظة التي كان يحدثني فيها .

وأدركت بإحساسي الفطري أنه ليس بدجال وليس بنصاب وسألته عن الحل فقال : خذي هذا الماء المقروء عليه القرآن الكريم وقومي بشربه ، كما أعطاني ماءً آخر للإغتسال والبعض من زيت الزيتون المقروء عليه أيضاً القرآن الكريم وطلب منّي أن أقوم بدهن جسمي بأكمله كل ليلة قبل النوم لمدة أسبوع ، كما نصحني بالإكثار من تلاوة القرآن والصلاة وقال : (القرآن والصلاة هما طوق النجاة) .

فأخبرته بأنّ هناك ما يمنعني عن الصلاة رغماً عنّي بعد أن كنت أصلي أكثر من الناس العادين قبل أن يحدث لي كل هذا ، فأنا أصلي وأنا في الصف الثالث الإبتدائي .

لكنه قال لي بأن هذا طبيعي ولكن يجب عليّ أن أتغلب على الأذى الذي معي كى أقهره ، وقهره لن يكون سوى بالقرآن والصلاة ..

وعُدت من عند ذلك الرجل وأنا محبطة خائفة أشعر بالظلم الشديد وأخذت أتساءل بيني وبين ذاتي لماذا يحدث لي كل هذا ؟ وأنا أبداً لم أتسبب في ظلم أو إيذاء أى شخص .. أحسست بمرارة الظلم تعتصرني ولكني دعوت الله أن ينجيني من تلك المحنة العصيبة .

الاحتفاظ بالسر

ومرت الأيام وأنا أحتفظ بهذا السر لنفسي فأبداً لم أخبر أي شخص بذهابي لذلك الرجل إلى أن بدأت حالتي تتحسن بعض الشيء بعد مداومتي على قراءة القرآن الكريم والصلاة بكثرة وخاصة صلاة الفجر ، ولم تمض شهور قليلة إلا وبعدها وجدت أمي تخبرني بأنني يجب أن أستعد لمقابلة بعض الأشخاص في منزلنا .

وكان ذلك الخطيب الأول بعد تلك المحنة التي مررت بها وسعدت كثيراً بهذا الخبر لأنني أحسست بأنَّ الأذى قد تركني بالفعل ، وبالفعل جاء الخطيب وقابلته .

كان رجلاً أنيقاً وسيماً لا ينقصه شيء من معاني الرجولة لدرجة أنَّ كل من كان يراه كان يحسدني عليه ، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن فبمجرد علم صديقتي هذه بخطبتي وجدتها تأتيني وتتودد إليَّ وتسألني عن عنوان خطيبي ، ولكني لم أخبرها وسألتها عن سبب اهتمامها بالسؤال عن عنوانه لكنها لم تجد إجابة مقنعة وبررت لي سؤالها عنه وعن عنوانه بمبررات واهية لم أقتنع بها ، كما سألتني عن اسم والدته وحاولت بشدَّة أن تعرفه .

لكني لم أفدها لأنني بالفعل لم أكن أعلم ماهو اسم والدته ، ولم تجد أمامها سوى أن تطلب منِّي أن أعطيها إحدى بلوزاتي كي تستعيرها للذهاب بها لمقابلة ما ، ولسوء طالعي لم أكن أعلم أنَّ الملابس تستخدم في عمل الأسحار ، فكل ما كنت أعرفه عن هذا

العالم أنني لا يجب أن أشرب فقط ، فالشرب هو المشكلة في اعتقادي أيضاً الشعر لا يجب أن يأخذ شعر رأسي أحد . هكذا أخبرني الشيخ كما أخبرتني السيدة الزنجية التي جاءتني في منامي .

لهذا أعطيتها إحدى بلوزاتي ولم تكن مغسولة بل كانت فيها رائحتي وأذكر بأنني قلت لها في ذلك اليوم انتظري حتى أقوم بغسلها لكنها قالت بأنها ستقوم هى بهذه المهمة ، ثم وجدتها تقول لي بعد أن قامت بأخذ البلوزة (ماتحرجينيش بقه وتقولي قدًام مامتك إنِّي أخدت منِّك بلوزة) ، فقلت (ماتقلقيش مش هقول لحد) .

ولسوء طالعها كان يشهد ذلك الموقف طفلة صغيرة هى ابنة خالتي فوجدتها تجري وتخبر أمِّي بذلك وكانت أمها التي هى خالتي تزورنا في ذلك اليوم فارتعدت من ذلك القول وقالت لأمي (ماتخليش بنتك تدِّي هدومها لحد أحسن يبوظوا لها الجوازة دول ناس مؤذيين) ، لكن أمي بادرتها القول (سيبيها على الله) .

وجاء صباح اليوم التالي فإذ بي أرى تلك الفتاة بالصدفة في شرفة منزلها لم تذهب لتلك المقابلة التي أخبرتني بأنها تود استعارة بلوزتي من أجلها وساورني الشك وخاصة بعد أن تذكرت كلمات خالتي وأخبرت أمي بما يعتريني من خوف وقلق ، وفي ذلك الوقت كانت أمي قد بدأت تقتنع بعض الشيء وتشعر بالخوف لهذا وجدتها ترتدي ملابسها بسرعة وتذهب لمنزل تلك الصديقة وتطلب منها أن تعيد بلوزتي لكنها رفضت وتعللت بأنَّ تلك البلوزة قد غسلت ووضعت لتجف في الطابق الثاني من المنزل .

لكن أمي ألحّت عليها أن تذهب لإحضارها من الطابق الثاني بعد ن رأت جميع الأحبال خاوية من الملابس ، لكن الفتاة أخذت تراوغ أمي وتقول (مفتاح الطابق الثاني ليس معي فهو مع أمي وأمي ليست موجودة الآن) .

ولم تمض لحظات حتى جاءت أمها حاملة في يدها كيساً من البلاستيك وبه بلوزتي ، فقد كان الكيس البلاستيكي شفافاً حيث أظهر تلك البلوزة لأمي ، وانهارت أمي أمام ذلك الموقف وطلبت من السيدة إعطائها البلوزة ولم تجد السيدة ما تقول في ذلك الموقف سوى قول (أنا أخدتها أشتري زيها بس مالقيتش زيها) .

ولكن كانت هناك جارة أخرى لتلك السيدة تشهد ذلك الموقف فقالت (هتشتري بلوزة الساعة ٦ صباحاً أيّ محل دا اللّي بيفتح ٦ صباحاً دا انتي خارجة الساعة ٦) .

ولم تجد السيدة ما تقوله سوى الصمت ..

ولم تعلق أمي هى الأخرى لأنها كانت قد فهمت كل شيء ، وبينما هى عائدة إلى المنزل استوقفتها تلك الجارة التي كانت تشهدالموقف وأخبرتها بأنّ تلك السيدة خرجت مبكراً ومعها تلك البلوزة ثمّ قالت لأمي (قولي حسبى الله ونعم الوكيل) وفهمت أمي ما لم تكن تود فهمه قبل ذلك وأخذت تفتش في بلوزتي فإذ بها تجدها مقطوعة من الجانب الأيسر ومأخوذ منها قطعة طولها حوالي ثلاث سنتيمترات تقريباً .

وعادت إلى البيت منهارة تبكي من شدَّة الخوف ، ولكن بمجرد وصولها للمنزل وجدنا تلك المرأة وابنتها تدخلان منزلنا وتقولان لأمي (انتي زعلانة ليه احنا عمرنا ما نأذي بنتك أبداً ، منهم لله الناس اللِّي بيوقعوا بيننا وبينكم) ولم تتفوه أمي بكلمة سوى كلمة (ربنا موجود قادر يحمي بنتي من أى أذى) .

وإذ بتلك المرأة تطلب من أمي أن تدخل الحمام ولم تمانع أمي ولكن المثير للدهشة في الأمر أن تلك السيدة دخلت هى وابنتها ، لهذا ساورني الشك فقررت أن أراقبهما وبالفعل رأيت ما أردت أن أراه فقد وجدت تلك السيدة تقف أمام حائط الحمام وتعطي وجهها له وتخلع تلك الطرحة التي كانت ترتديها ثمَّ فتحت كيساً بلاستيكياً أخرجته من طيات حمالة صدرها وأخرجت من ذلك الكيس بعض الأتربة وقامت برشها في فوهة المرحاض ثم بعد ذلك أخذت تتمتم ببعض الكلمات التي لم أفهمها وكانت تلك الأشياء مكتوبة في ورقة كانت تقرأ منها هى وابنتها ، كنت أراقبهما من تلك النافذة الخلفية للحمام وأنا تائهة لا أصدق ما أرى .

وبعد انتهائهما من ذلك خرجوا من الحمام وكأنَّ شيئاً لم يكن ، ولكني أردت أن أتخذ موقفاً في ذلك اليوم فانهرت بشدَّة وقمت بطردهما من منزلنا وكانت الحرب الضارية بعد ذلك فقد مرَّت الأيام بعد تلك الواقعة لكنها كانت أسوأ ما يكون ، أصبحت أبكي بشدَّة وألطم خدآى بقوة وأقول (أنا مش عايزة أتجوز أنا عايزة أموت) .

أيضاً أبي أخذ يردد نفس الكلمات (أنا مش هجوز بنتي دلوقتي خالص) كما بدأ شعري يتساقط بشدَّة أيضاً بشرتي بدأت تمتلأ بالبثور والتشوهات التي حار فيها الأطباء ، وتطور الأمر لأبعد من ذلك فقد ذهب الخطيب ولم يعُد بعد أن سمع تلك الكلمات من أبي ومنِّي .

فضيحة الساحرة

وفشلت الخطبة بعد أن أخذت تلك السيدة المؤذية بعض الأتربة وقامت برشها فوق سيارة ذلك الخطيب وقد رآها بعض الجيران وأخبروا أمي بذلك كما تشاجروا معها في ذلك اليوم وقالوا لها (حرام عليكِ اتّق الله شوية) وكانت مشاجرة عنيفة .

تجمَّع حولها المارةكما كانت فضيحة كبيرة لتلك السيدة وليت الأمور وصلت إلى هذا الحد فقط ، بل تخطت أبعد من ذلك فقد أصبحت فتاة مجنونة بمعنى الكلمة .. ألطم خدّاى لأتفه الأسباب .. أقوم بسب أبي وأمي وكل الأشخاص من حولي ، كما أقوم بإمساك السكين لإخوتي ولأبي على وجه التحديد ..

كنت أشعر بأنني يجب أن أقتله ، كما أصبحت أكرهه بشدَّة بعد أن كنت أحبه أكثر من أى شخص في هذا العالم ، امتنعت عن الذهاب للجامعة بالشهور وفي كثير من الأحيان كنت أرتدي ملابسي كالمجنونة وأذهب للجامعة ، ولكن بمجرد وصولي ودخولي من الباب الرئيسي أشعر بضيق شديد وبكاء حار وأجدني بلا إرادة منِّي عائدة إلى المنزل .

وفي كثير من الأحيان كنت لا أعود إلى المنزل بل أهيم في الطرقات وأجلس فوق الأرصفة بالساعات الطويلة ثمَّ أعود بعد ذلك للبيت ، أصبحت مكروهة من الجميع ومن نفسي أيضاً .

ومرَّت بي الأيام وأنا كما أنا الكل ينجحون وأنا أرسب ، الكل يتزوجون وأنا قابعة فوق فراشي .. حياتي صامتة كالماء الراكد في البركة لا يأتيني الخطاب مطلقاً ، وحتى من يفكر في المجيىء بمجرد دخوله من الباب يهرب ولا يعود ثانية مطلقاً .

ولم تكتف تلك السيدة بكل ما حدث لي من أذى بل تمادت في جبروتها حيث أنه ذات يوم وبينما أنا جالسة فوق فراشي كالعادة سمعت أخي يصرخ بشدة ويقول (الحقي يا ماما) .. وكان أخي هذا واقفاً فوق سطح منزلنا وهرولت أمي لترى ماذا حدث فإذ بها تجد تلك السيدة تقوم برش الأتربة حول منزلنا وفوق الباب الرئيسي وأمام الأعتاب وكان ذلك التراب من تراب المقابر ، هذا ماعلمناه بعد ذلك .

ولم تتمالك أمي نفسها في تلك اللحظة فقد أخذت تصيح وتصرخ وتدعو عليها وقد سمعتها تلك السيدة بالفعل ، لهذا لاذت بالفرار خوفاً من افتضاح أمرها وأدركت أمي في تلك اللحظة بأننا في مأزق حقيقي وأنَّ ما يحدث لنا ليس بالشيء الطبيعي ، وأخبرت أبي بذلك لكنه لم يقتنع وثار ثورة عارمة وقال (الكلام ده كلام فارغ ماتتكلميش فيه تاني) .

ولكن أمي لـم تستمع لكلماته هـذه وخاصة بعـد أن تدهـورت حـالتي وأصبحت أخشى النـوم خوفاً من الكوابيس المزعجة التي كانت مـلازمـة لي . فـدائماً كـانت تطـاردنـي القـطط والكـلاب السـوداء والحيوانات الضخمة التي تـودُّ أن تفتك بي كما كنت أرى رجلاً ضخماً عارياً يحاول دائماً قتلي أو اغتصابي عنـوه .

أيضاً كنت أرى تلك السيدة وابنتها تطاردانى وتحاولان سرقة ملابسي وأخـذت أمـي تطـرق أبـواب المشـايخ والعـرافين وكـان الكلام دائـماً واحـداً وهـو (عـمـل سـفلي بـوقف الحـال والجنون والخـراب وشـبشـبة سفلية في الحمـام ، وتراب قبـور مرشوش حـول المنـزل وأمـام الأعتـاب) وكـانوا يذكـرون لنـا اسـم تلك السيـدة وابنتـهـا ، كـمـا كـانوا يذكـرون جميـع الوقـائع التي حـدثت بدايـة من كـوب الشـاى والشـعر الذي أُخـذ من مشـطي والقطعـة التي قطعـت من بلوزتي ذات اللـون الوردي .

وكـانوا دائمـاً يقفـون عاجـزين أمـام علاجي وخلاصي من هـذا المـارد الجـني الكـافر الذي دمَّـر حيـاتي بأكملها ..

ولكن ذلك بعـد أن تدفـع أمي مئـات الجنيهـات أمـلاً في الشـفاء ..

وتمضي الأيـام بي ويأتي خطـيب ويذهـب كـمـا يـأتي خطيب آخـر ثم يذهب هـو الآخـر وبدون أسـبـاب معـروفة ، المهـم أن نصـل في النهـاية للنتيجـة المحتومة وهى الفشـل في كـل شيء وبقـاء الحـال كمـا هو عليه.

رحـلة العـلاج

بـل الأهـم أن أبـقى أنـا بين جـدران غرفـتي مجنونة وحـدي بـلا زواج .. بـلا أطفـال .. بـلا حيـاة ، ومن هنـا بدأت رحلتي مـع المشـايخ ، فـأمي

لـم تستسلم .. كانت تذهـب لكـل شخص تعـلم أنـه يستطيع أن يساعدني ويخـرجني من دائـرة تلك الأسـحـار اللعينـة إلى أن جـاء يـوم ووجـدت فـتـاة كانـت تعمـل خــادمة عندنا فـي المنـزل تقـول لأمي (دا فـيـه شـيخ كـويس أوي هـاتي أتـر بنتـك أمّـا أخليـه يشـوفه) ، ولـم تعـتـرض أمي فكانت كالغـريق الذي يـود أن يتـعـلق بقشـة ، فأعطتها شـيئاً من ملابسي وفي باديء الأمـر لم تشـك أمي في شيء لكـن اتضحت الحقيقة بعـد ذلك فقـد قـامت تلك السـيدة التي قـامت بـإيذائي بإعطـاء تلك الخـادمة مبلغـاً من المـال كـى تأتي بشيء من ملابسي من جـديد .

ثم ذهبـت لذلك الرجـل السـاحر وأعطتـه مبلغـاً من المـال هـو الآخـر واتفقت مـعـه على إيذائي أكثـر ، وقـد تحقـق لهـا ما أرادت فـقـد طـلب الرجـل من تـلك الخـادمـة أن تخـبـر أمي بأن تذهب إليـه كى يتـفـاوض معـهـا على مبـلغ كـبير من المـال ، وبالفـعـل ذهبت إليـه فطلب منهـا أن تعطيـه خـمسمـائة جنيـه ولـم تتردد أمي فقـد أعطتـه المبـلغ المطلوب ثـمّ طـلب منهـا أن تحـضـر إليـه أظافـري العشـرين وخصـلة من شـعـر رأسي وثـوباً غـير مغسول لي وفتـيـلة من الخيط بطـول جسمي بأكمـله بداية من رأسي ونهـاية بأصـابع قــدمي .

ولـم تتردد أمي وجاءتني على الفـور وأخـذت منّي كـل ما طلب منهـا ذلك الرجـل وقـامت بإعطـائه لـه .

في تلك الأيـام كنـت كالسكرانة لا أعـي شـيئاً سـوى الصمت .. فـلم يكـن لي اعــتـراض عـلى أى شيء ، ومــرت حـوالي ثلاثة أيـــام عـلى

أخذ ذلك الرجل لتلك الأشياء ثم وجدته يُرسل لي مع تلك الخادمة ثلاث شقفات نيئة منقوش فوقها بعض الطلاسم والتعاويذ غير المفهومة وقال للخادمة أن تخبرني بأن أستحم بها ثلاث جُمع متتالية كما أرسل لي معها بعض الماء الأزرق الذي قمت بشربه أنا وأبي وأمي وأخوتي .

وبمجرد أن بدأت في الاستحمام بالشقفة الأولى يوم الجمعة وجدت جسدي مدهوناً كلُّه بالطين لأنَّ ذلك الشقف ماهو إلاَّ طين ، وقبل أن أُكمِّل تلك الشقفة اللعينة وجدتني أصرخ وألطم خدّاى وأهرب بسرعة وأرتدي ملابسي وكأنَّ جسدي قد اشتعلت فيه النيران .. تلك النيران التي لا يستطيع أحدٌ إطفاءها في هذا العالم ، فقد أحسست بأنَّ جسدي من شدَّة حرارته يكاد أن يشتعل .

وبدون أن أرتدي حتَّى حذائي خرجت من باب المنزل كالمجنونة أهيم في الطرقات حافية القدمين واستقلَّيت أتوبيساً للنقل العام على الرغم من أنني لم يكن معي أيُّ شيءٍ من النقود ، كنت أبكي بشدَّة ، الكلُّ كان يرمقني في صمت إلى أنْ جاء الكمساري وطلب منِّي الأجرة لكن نظراتي كانت شاردة مغلفة بالصمت فأشفق على حالي بعد أن رآني حافية القدمين والدموع تنهمر من عيناى بشدَّة ، وبعد عدَّة لحظات أو دقائق أو ساعات لست أدري هل كانت كثيرة أم قليلة ، فقد كنت في عالم آخر وجدتني في مدينة المحلة الكبرى أطوف الشوارع الواسعة بلا هدف فإذا برجل لا أعرفه يتجه نحوي ويقول

(مالك يابنتي ماشية حافية ليه وبتعيطي ليه) تعالي ماتخافيش .

وبدون إرادة منِّي انسقت خلفه إلى أن وقفت أمام الحانوت الذي يمتلكه فقال اتفضلي يابنتي ، ودخلت الحانوت وكان حانوتاً للأحذية . فأتى بمقعد وقال إجلسي وجلست في صمت فوجدته يأتيني بحذاء جديد ويعطيني إيَّاه ويقول (إلبسي ده) ، وارتديته بالفعل ثم طلب من أحد العمال عنده أن يأتيني ببعض من السندوتشات والشاى ، وبالفعل جاءني الطعام وبدأت آكل وأشرب وأرقب الزبائن الذين يدخلون ويخرجون من الحانوت للشراء، كل هذا وأنا صامتة ، وبعد أن إنتهيت من احتساء الشاى سألني ذلك الرجل الطيب (انتي منين يابنتي ؟) فأخبرته فإذا به يأخذني لأستقل سيارة ميكروباص ثم قام بدفع الأجرة لي وقال ارجعي البيت يابنتي انتي بنت حلوة وجميلة ماتخليش حد يطمع فيكِ ولو احتجتي أى حاجة تعالي أنا زىّ والدك .

واكتفيت بالصمت وعدت إلى المنزل ولم تمر أكثر من عشرة أيام بعد ذلك اليوم إلاَّ وأنا كالجثة الهامدة فوق الفراش .

وأخذت أتساءل هل أراحني ذلك الرجل الساحر أم أتعبني أكثر ؟

فسألت أمي عن أظافري وشعري وتلك الفتيلة التي هى بطول جسمي بأكمله فقالت بأنها سوف تذهب لذلك الرجل وتسأله عنها ، وقد ذهبت بالفعل وسألته لكنه أخبرها بأنه وضع الأظافر والشعر والفتيلة في ورقة مليئة بالآيات القرآنية ثمَّ أغلق عليهم الورقة وأوهمها بأنها

عبارة عن (تحويطة) يجب أن أحملها بعد أن قام بتبخيرها ، ثمَّ حذَّرها من فتحها لأنَّ فتحها سوف يتسبب في أذى كبير لي ولها وصدقته أمي ، ولكني لم أصدقه ، فقد قلت لأمي (ما الأذى الذي سوف يصيبني أكثر ممَّا أنا فيه) .

وجازفت وفتحتها وبالفعل قد تحققت هواجسي وشكوكي فلم أجد بداخلها أى شيء ، لم أجد أظافري ، لم أجد شعري ، لم أجد الفتيلة بل وجدت ورقة بيضاء خاوية من أى كلمات ، وأدركت في تلك اللحظة أنَّ هذا الرجل قد قام بإيذائي بالفعل وقررت الذهاب إليه بنفسي كى أتشاجر معه وبمجرد وصولي إليه وقبل دخولي من باب منزله وجدت تلك السيدة التي قامت بإيذائي هى وابنتها تخرجان من عنده وكانت صدفة عجيبة وكأنَّ الله قد جعلني أذهب في ذلك التوقيت بالتحديد كى تظهر لي الحقيقة كاملة .

وأدركت في تلك اللحظة بأنني قد تحطمت للأبد ، والمثير للدهشة أنَّ تلك السيدة وابنتها عندما رأتاني أخذتا تهرولان بسرعة وكأنهما في سباق للماراثون ، فقد أكد لي ذلك بأنهما قد حطمتاني للأبد هُما وذلك الرجل .

ومرَّت الأيام بي من جديد ولكن كانت صحتي تسوء أكثر ، كلُّ هذا وأنا أقاوم كى أستطيع أن أنهي دراستي الجامعية ، كنت أقاوم أشياء كثيرة وأهم تلك الأشياء الكوابيس المزعجة التي كانت تلاحقني

دائماً ، كنت أقاوم خوفي من المستقبل ودموعي التي كانت تنهمر من عيناى بلا أسباب وعصبيّتي الزائدة التي وصلت لحد الجنون ، حاولت مقاومة نظرات الناس لي وأصابع اتهاماتهم التي كانت تشير دائماً إليَّ وتقول (لماذا لا تتزوج تلك الفتاة) .

كما كنت أقاوم تلك الآلام المبرحة التي كانت تستعمر في جسدي بالبكاء والصراخ ولكن دون جدوى ، فلم تنته آلامي كما لم تنته مأساتي ، فدائماً كنت من الفاشلات في استذكاري لدروسي طيلة العام الدراسي ، فالشيء الوحيد الذي نجحت فيه هو اللامبالاه والشرود الدائم والتوهان والخوف من المجهول ، وكانت الليلة الوحيدة التي أستذكر فيها دروسي هى ليلة الإمتحان .

كنت أختار أربع أسئلة أو ست على الأكثر من المقرر بأكمله وأستذكرهم وأدعو الله أن يوفقني والحمد لله كان يوفقني ولم ينسني مطلقاً لأنه وحده سبحانه هو الذي يعلم مدى الظلم الذي وقع عليَّ بلا ذنب .. لهذا كان معي دائماً وكنت أنجح ولكن بالكاد إلى أن وصلت للسنة الرابعة في الكلية .

استمرار المعاناة

وازدادت حالتي سوءاً أكثر من أى وقت مضى ، كنت أشعر دائماً بأنَّ جميع البشر من حولي يحبونني منذ الوهلة الأولى ثمَّ بعد عدَّة أيام أو أسابيع تتبدل الأحوال ويتبدل الحب بكره وابتعاد ونفور وبدون

أسباب معروفة فالكل كان يبتعد عنِّي بدون أى سبب واضح كنت أشعر دائماً بالرعب من كل شيء حولي ومن كل البشر كانت أحلامي كوابيس مفزعة لا أرى فيها سوى القطط والكلاب السوداء وأحياناً الثعابين السوداء أيضاً .

وفي أحيان أخرى كنت أرى حيوانات ضخمة أو هياكل ضخمة سوداء لا أستطيع تحديد ماهيتها ، كانت تحاول دائماً الفتك بي بعد صراع دامي يدور بيننا ، كما كنت أرى تلك السيدة وابنتها تتشاجران معي دائماً بكل قوة وعنف وتجريان دائماً خلفي إلى أن تمسكا بي .

كنت أفيق في تلك اللحظة لا يملؤني سوى الرعب والفزع ، كانت صرخاتي الدامية تهز جميع أرجاء المكان ، كان استيقاظي خوفاً ورعباً ، كما كان نومي أيضاً خوفاً ورعباً ، كان الجميع يتعجبون من أمري ويهمسون (إزّاى دي من غير جواز لحد دلوقتي دي حلوة قوي) كما كانوا يقولون لي في وجهي (هما الرجالة عميوا) ، ومنهم من كان يقول (مافيش عرسان ولا إيه ؟) ، وأخذت علامة التعجُّب تكبر وتكبر كعمري تماماً الذي أخذ يكبر هو الآخر ، وكلما مرَّت الأيام كلَّما ازددت رعباً وخوفاً أكثر .

هكذا مرَّت الأيام بي إلى أن جاء يوم ووجدت طرقاً فوق باب منزلنا وذهبت أمي وقامت بفتح الباب فإذا بها تجد سيدة ترتدي جلباباً أسود وطرحة سوداء تقول (البيت ده فيه بنت تعبانة وأنا جايَّة أعالجها ، أنا واحدة ماشية في سبيل الله) .

وفرحت أمي وظنَّت أنها النجدة وسارعت لغرفتي كي تناديني ، ورحَّبت بتلك السيدة ترحيباً شديداً للغاية ظناً منها بأنها ستخلصني من جميع متاعبي ، لهذا كانت شديدة الكرم معها سواء في كم النقود التي أعطتها إيَّاها أو في وجبة الغداء الدسمة التي قامت بإعدادها من أجلها .

وبعد أن انتهت من تناول الغداء وجدتها تقول لي (هاتي حاجة من أترك) ، وقمت بإعطائها حمَّالة للصدر وكانت غير مغسولة ، كما طلبت منِّي البعض من قشر البصل والبعض الآخر من قشر الثوم .

وأخذت تتمتم ببعض الكلمات التي لم أفهمها وكان البخور متصاعداً أمامها ، ثم أخرجت من جيبها كيساً بلاستيكياً به بعض الأتربة الناعمة والتي علمت بعد ذلك أنها من أتربة القبور ، وقالت لي بصوت كلُّه حدَّة .. ضعي قشر البصل والثوم فوق هذا التراب وقومي بتخطيته ثم انثريه بعد ذلك في كافة أرجاء المنزل، وبالفعل نفَّذت كل ما قالت لي بكل دقة ثمَّ أعطتني سائلاً لا أعرف ماذا هو وطلبت منِّي أن أقوم برش نصفه في فوهة المرحاض والنصف الآخر أقوم بشربه كي يبطل ما بي من أسحار ، وبالفعل قمت بالتنفيذ بكل دقَّة .

وذهبت في اليوم التالي للجامعة فإذا بي أجد شخصاً كان متقدماً لخطبتي من زملائي في الجامعة يتشاجر معي بدون أسباب ثمَّ ينهي

علاقته بي بعد أن نعتني بأسوأ الصفات وقال (أنا مش عايز أشوف وشّك) (إنتي كل يوم تجيلي في المنام في شكل عفريتة ، البُعد عنِّك خير) ، وتركني وابتعد ، تركني وحدي في فناء الجامعة .

ومن هول الصدمة لم أصدق فإذ بي أسقط مغشياً عليَّ ولم أفق إلا وأنا في مستشفى الجامعة ومنذ ذلك اليوم وأنا فاقدة الوعى وكأنني بلا عقل على الإطلاق ، أصبحت أهذي ببعض الكلمات التي لا معنى لها بين زملائي في الجامعة ، كما أصبحت ألطم خدَّاى بشدَّة أكثر من ذي قبل ولا أشعر بالألم مطلقاً وكأنهما ليسا خدّاى أنا بل لشخص آخر غيري .

كنت أفعل ذلك وبدون أسباب .

كما كنت أقوم برفع السكين في وجه أبي وأودُّ قتله .

أصبحت أسبُّ الجميع وأتلفظ بألفاظ لا يصدقها عقل بشري ، كما كنت أقوم برجم أبي وأمي وأخوتي بالحجارة في الطرقات العامة ، كنت أسير حافية القدمين في الشوارع لدرجة أنني كنت أسير أكثر من خمس ساعات متواصلة وبدون أن أشعر بالتعب مطلقاً .

وفي النهاية كنت أستلقي فوق أى رصيف يقابلني وأجلس فوقه بالساعات أيضاً أرقب المارة في صمت ، كنت أذهب لجامع السيدة زينب وأجلس أمامه كى أحصل على قطعة من اللحم أو رغيف من الخبز من الزوار لكني لم أحاول مطلقاً أن أدخل للصلاة ، كنت أرتدي الملابس المهلهلة السوداء ، والسوداء على وجه التحديد وليس لوناً آخر .

كنت أتصرف تصرفات مشينة للغاية تسيء لأى فتاة مثلي ، لكني كنت سعيدة بتلك التصرفات وكأنها ليست عيباً بالنسبة لطالبة جامعية من عائلة محترمة وعريقة مثل عائلتي ، طُفت معظم محافظات مِصر وبدون أسباب مقنعة كنت أستقل أى سيارة أو أى قطار يقابلني وبدون أن أسأل إلى أين سوف يتوجه ولا أفيق إلا وأنا في محافظة جديدة لم أزرها من قبل ، كنت أعرف اسم المكان بعد نزولي من السيارة أو القطار فأبداً لم أسأل إلى أين سوف أذهب ، أخذتني طرقات كثيرة وشوارع أكثر .

طفت في أماكن كثيرة ذقت طعم الجوع في تلك الشوارع وكان كل ذلك العذاب لأنني لا أود العودة للمنزل مطلقاً ، فبمجرد إقترابي من باب المنزل كانت عيناى تنهمران في البكاء وأشعر بأنني أختنق وأقوم بلطم خداى بشدَّة رغماً عنِّي ويبدأ جسدي في مواصلة ثورة جديدة من ثورات الألم التي كانت تنتابني وكأنَّ هناك من يقوم بغرس الإبر أو المسامير في جسدي بأكمله .

أمور لا يصدقها عقل

كل ذلك العذاب حدث لي بعد زيارة تلك السيدة التي دقَّت بابنا على أنها فاعلة خير وهى لم تكن سوى وسيطة لتلك السيده وابنتها حيث أنها قد كلفتها بدخول بيتنا وبإيذائي أكثر وأكثر .

والدليل على ذلك أنَّ تلك السيدة التي دقت بابنا رفضت أن تعطينا أى معلومات عنها سواء عن عنوانها أو حتى اسمها الحقيقي ، فقط قد

أعطتني رقم هاتف وعندما اتصلت به وجدته رقماً خاطئاً .

وكأنَّ تلك السيدةوابنتها قد خُلقتا في هذه الحياة كى تؤذياني وتدمرا حياتي فقط .

كل تلك الأحداث وكل هذا الألم وأنا كالبيت الموقوف لا يطرق بابي أحد من الخُطَّاب ، وعادت أمي من جديد لتطرق باب الدجالين والعرافين فقد سمعت أنَّ هناك رجلاً يعالج مثل تلك الحالات المصابة بالسحر في قرية صغيرة تابعة لمحافظة الدقهلية ولم تنتظر وبدون أن تفكر ذهبت مع قريب لنا من عائلتنا بعد أن أخبرها عن ذلك المعالج وطلب منها أن تأخذني إليه .

وبالفعل ذهبنا نحن الثلاثة وقابلنا ذلك الرجل ، وبمجرد أن جلست أخذ يتلو آيات القرآن الكريم فوق رأسي وبمجرد أن بدأ في التلاوة وجدت الدموع تنهمر من عيناى بشدَّة وبغزارة ، كما وجدتني أصرخ ولا أودُّ سماع القرآن الكريم ، كما قُمت بلطمه وضربه ..

وكأنني مجنونة بالفعل لا تستطيع السيطرة على نفسها ولم يجد الرجل مفراً سوى الإكتفاء والتوقف عن القراءة ثم قال (حالة سحر سفلي أسود شديد ، لكن مقدرش أعالجها للأسف والدموع دي هى دموع الجني اللِّي معاها مش عايز يسمع القرآن) .

وأصبت بخيبة أمل أنا وأمي وعدنا للمنزل ومرَّت الأيام بعد هذا اليوم ولم تكن كثيرة إذ فوجئنا بطرق فوق بابنا من جديد وكان الطارق في تلك المرة قريباً لنا من بعيد فرحبنا به ودخل ثمَّ بدأ

يتحدث عن الزواج والسحر وتلك الموضوعات ثم قال بأنَّ هناك رجلاً يعالج الأسحار في قرية مجاورة ، وهو بارع في حل الأسحار السفلية .

واستعطفته أمي أن يأخذنا إليه وأبدى موافقته ، وبالفعل ذهبنا لتلك القرية التي يقيم بها ذلك الرجل .

وبمجرد دخولنا لم أشعر بالإرتياح ..

لكنه طلب منِّي شيء من ملابسي وبالفعل قد أعطيته ثمَّ وجدته يقول :

(عندك سحر سفلي شديد) ..

وعندما سألناه عن العلاج قال : العلاج بـ ٦٠٠ جنيه وهتاخدي الحاجات دي تستعمليها .

وكانت عبارة عن بعض الأوراق المكتوبة باللون الأسود ، كانت حروفها غير مفهومة بالنسبة لي وقد طلب منِّي أن أقوم بنقعها فى الماء ثمَّ الإستحمام بالماء بعد ذلك ، كما أعطاني بعض الأوراق الأخرى المشابهة لتلك الأولى ، ولكنه طلب مني شرب الماء بعد نقعها فيه .

كما قال لي يجب أن تقومي بدهان جسدك بالخل لمدة سبعة أيام أيضاً تقطير سبع نقاط من عصير البصل في أذنك اليُمنى وسبع نقاط أخرى في أذنك اليسرى قبل النوم .

وللأسف الشديد ساءت حالتي أكثر من ذي قبل بعد أن فعلت ما نصحني به ذلك الرجل ، لذلك ذهبنا إليه ثانية فإذا به يقول : (سامحيني يا بنتي من ساعة ما أذيتك وأنا ماشفتش خير

ابني الوحيد بين الحياه والموت في المستشفى .. دا انتقام ربنا منِّي ..!) .

وسألته .. وليه تأذيني ؟ فقال طمع الدنيا ، جاءني قريبك هذا الذي جاء معكما ومعه امرأة أخرى وابنتها وطلبوا منِّي أن أقوم بإيذائك مقابل مبلغ من المال ووافقت ، ولكن انتقام الله كان شديداً .

سامحيني يا بنتي .. أنا أبطلت كل اللِّي عملتهولك ، لكن فيه حاجات تانية معمولة لك قبل كده مش عارف أبطلها لك لأنها سحر سفلي بتوكيل من مارد جنِّي ، شوفي حد يكون أقوى منِّي يساعدك .

ولم أجد ما أقول سوى الصمت .. ومرَّت حوالي ثلاثة شهور بعد تلك الواقعة فإذ بذلك الرجل يأتي كى يطلبني لابنه لكني رفضت لأنني كنت في حالة متأخرة من الألم النفسي والجسدي ، كما أنَّ ابنه هذا لم يكن مناسباً لي وأدركت بعد ذلك أنَّ ذلك القريب الذي طرق بابنا لمساعدتي ماهو إلا وسيط جديد لتلك السيدة التي قامت بإيذائي هى وابنتها مقابل إعطاءه مبلغاً من المال .

حقاً إنها أشياء ووقائع لا يصدقها عقل بشري لكني حقاً لا أبالغ ولا أدَّعي فتلك هى الحقيقة المُرَّة التي عانيتها على مدار عشر سنوات من العذاب والألم النفسي والجسدي ، وبعد أن أدركت كل تلك الحقائق وعلى لأخص حقيقة ذلك القريب أراد الله أن يؤكد لي تلك الحقيقة .

فإذا بي أرى ذلك القريب واقفاً مع تلك السيدة وابنتها بالصدفة ، ولكن بمجرد أن رآني قام بالإختباء خلف سيارة كانت أمام المنزل الذي

رأيتهم أمامه ، كما قامت تلك السيدة هي وابنتها بالسير بسرعة وتركه كي لا أراهما سوياً مع ذلك القريب الذي ادَّعى أنه يود مساعدتي .

وبرغم كل تلك الأحداث وبعد أن تأكدت من إجرام ذلك القريب هو الآخر ، بل وبعد أن تأكد هو من أنني قد رأيته واقفاً مع تلك السيدة وابنتها جاء لزيارتنا في المنزل من جديد وكأنه حمَل وديع وبكل وقاحة وجدته يقول (عاملة إيه دلوقتي مش أحسن) ..

ولم أجد أمامي سوى طرده من المنزل بعد أن ثُرت ثورة عارمة واتهمته بأنه مجرم وبأنَّ الله سوف ينتقم منه أشد الإنتقام ، ولأنه كان على يقين من أنه مخطيء لم يستطع أن يدافع عن نفسه وخرج في هدوء لكنه لم يتركني بعد ذلك ، فقد كان يراقب منزلنا باستمرار .. كنت أراه واقفاً يراقب تحركاتنا جميعاً ولم أكن أعلم سر تلك المراقبة لكنِّي بعد ذلك عرفت بعد أن ضبطته متلبساً برش بعض الأتربة أمام عتبة بيتنا وبمجرد أن رآني أخذ يجري بشدّة كي لا ألحق به .

ساءت حالتي النفسية أكثر ، انزويت بين جدران غرفتي أكثر ، انتابني إحساس بأنَّ كل شخص أعرفه سوف يقوم بإيذائي بعد كل تلك الأحداث المؤسفة التي حدثت لي .

توقفت حياتي تماماً وكأنها قطار متعطل لا يقدر على الحركة ، كنت أشعر بأنَّ قدماي مشلولتان لا تستطيعان أن تتحركا بي من فوق الفراش وكأنني امرأة عجوز كسيحة إلى أن جاء يوم ووجدت باب

منزلنا يُدق من جديد ولم يكن بالمنزل سوای أنا وأختي الصغيرة فذهبت لفتحه على مضض لأنني بالفعل كانت خطواتي بطيئة وكأنني أقوم بجر سيارة نقل كبيرة خلفي .

ولكني تحاملت على نفسي وقمت بفتح الباب لأجد تلك السيدة التي تقوم ببيع الأسماك لأمي لكنها في ذلك اليوم لم يكن معها شيء تبيعه أو تشتريه فأخبرتها بأنَّ والدتي ليست بالمنزل وبأنني وحدي أنا وأختي فقط .. فقالت (خلِّيني أستريّح من المشوار) ..

ووجدتها تسألني أسئلة غريبة للغاية حيث قالت (مفيش عرسان ولاَّ إيه) .. فقلت (ربّنا يسهِّل) ..

فقالت (شوفي لا يكون حد عاملّك عمل بوقف الحال) ..

فقلت (العمل عمل ربّنا) ..

فقالت (دا الناس بيقولوا أم صاحبتك عملالك بوقف الحال) ..

ولم أتفوَّه بكلمة واكتفيت بالصمت في تلك اللحظة ، لكنها أخذت تضغط فوق صدري بشدَّة وتقول (إنتي مش شايلة تحويطة في صدرك) فقلت (لأ) ..

وأحسست بالمكر يملأ عينيها فقلت (إنتي عايزة إيه بالضبط) ..؟

فقالت (أصل فيه واحدة كان معمول لها عمل سفلي على بيضة بتاعت يوم سبت وعاشت عمرها كلُّه من غير جواز) .

ولكني بادرتها بالسؤال (وأنا إيه علاقتي بالموضوع ده ؟) .

فقالت (أنا خايفة تكوني زيها إنتي مابتروحيش لشيوخ ولاً حاجة)

فقلت لها (لو سمحتي أنا عايزة أنام) ..

فقالت (طب أدخل الحمام وبعدين أستأذن عشان تنامي) ..

وكنت قد أدركت اللعبة ، فالحمام هذا له معي ذكريات مؤلمة ، لهذا قررت أن أراقبها بعد أن ساورني الشك فيها .

وبالفعل لم يكن شكّي من فراغ فبعد أن دخلت وأغلقت باب الحمام قلت لها لو سمحتي افتحي الباب أحسن المفتاح بيعلَّق وممكن تتحبسي جوّه .

وبالفعل خافت وصدقتني وفتحت الباب بالمفتاح لكنها لم تتركه مفتوحاً على مصراعيه بل أغلقته بعض الشيء وكنت أراقبها من خلف الباب المغلق بعض الشيء فإذا بي أسمع صوت كيس بلاستيكي كانت تخبؤه في صدرها .

وبمجرد أن سمعت صوت ذلك الكيس فتحت باب الحمام فجأة فإذا بي أجدها تحاول أن ترش ما به من أتربة في فوهة الحمام وبمجرد أن قمت بفتح الباب تلعثمت وقالت إنتي بتفتحي الباب ليه ؟

فقلت (امشي اطلعي برّه) ..

فقالت (ليه دا شوية كُحل مش عايزاهم قلت أرميهم في الحمام) ..

ولكني قلت بحدَّه (امشي اطلعي برّه) .

فقالت (حاضر بس هاتيلي طبق أبيض من عندكو مايكونش فيه إشارة وأنا أمشي أحسن الواد ابني بيطفش من البيت وبيلف في البلاد وأنا عايزة أفك له العمل) .

ثمَّ أخذت تضحك وتضحك بشدّة وكلها سخرية ولم أتمالك أعصابي ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أنهال عليها ضرباً إلى أن أخرجتها خارج المنزل وأغلقت الباب ، فوقفت خلف الباب تصيح وتقول (ابقي تعالي قابليني إن عرفتي تفكي العمل اللِّي معمول لك ، هتفضلي كده لحد ماتموتي من غير جواز مجنونة) ، (أنا رايحة للشيخ أحمد عشان يشوف شغله) .

وكان الشيخ أحمد هو ذلك الرجل الذي قام بأخذ أظافري العشرين وشعري وتلك الفتيلة التي هى بطول جسمي ..

أحسست في تلك اللحظات بأنني أعتلي أعلى قمة من قمم اليأس والخوف .

أحسست بأنني أدور في حلقة مفرغة كما أحسست بأنَّ جميع حالات علاجي قد فشلت لدرجة أنني أصبحت أخشى الذهاب لأى معالج كى لا يؤذيني أكثر ، فقد كنت محاصرة حصاراً تاماً من كل من هم حولي بفضل جبروت تلك السيدة وابنتها .

تلك السيدة التي صممت أن تحطم حياتي بدون ذنب أو سبب سوى الغيرة الشديدة منِّي ومن أمي بعد أن قمنا برفض ابنها الذي تقدم للزواج منِّي ، لم أكن أصدق أن الكُرْه والغيرة قد يؤديان إلى

الكُفر بالله والعياذ بالله ، لكنني أدركت كل ذلك بعد كل تلك الليالي القاسية .

استئناف العلاج

ومضت بي الأيام أسوأ من سابقاتها بعد أن فشلت في النجاح في عامي الجامعي الأخير ، كما ابتعد عنّي كل من أحبوني من زملاء الجامعة لدرجة أنّ أحدهم قال لي (أنا بحبّك وماقدرش أبعد عنّك بس حاسس إن في حاجة بتبعدني عنّك ، حاجة واقفة بيني وبينك ومش عارف إيه هيّه ؟) ..

وكنت أعلم للأسف ذلك الشيء ، كما كنت أعلم بأنني مؤذاة ، ولكني للأسف أيضاً لم أستطع أن أفعل أى شيء حيال ذلك فكل ما استطعت فعله هو أنني فوضت أمري لله سبحانه وتعالى .

الله الذي خلقني ولن يرضى بظلمي مطلقاً واستسلمت لقضاء الله ،،

ومرّت الأيام من جديد عصيبة قاسية وازدادت الآلام وانتشرت في جسدي بأكمله بطريقة لا أستطيع الصبر أو التغلُّب عليها .

كنت أصرخ بشدة من شدّة تلك الآلام وقسوتها ، واحتار في حالتي جميع من ذهبت إليهم من الأطباء والجميع بلا استثناء أجمعوا وقالوا (معندكيش حاجة) ..

وعُدت من جديد لرحلة العلاج مع المشايخ والدجالين والنصابين وكان الشيخ الأول ..

كان رجلاً صالحاً مقيماً في بلدة صغيرة تابعة لمحافظة الشرقية ، وكانت طيبته واضحة في ملامح وجهه التي كانت تشع نوراً وصفاءاً ، وبمجرد أن رآني قال : (لا حول ولا قوَّة إلا بالله) ..

(اجلسي يا بنتي فوق سجادة الصلاة دي) ..

وجلست وأخذ يتلو آيات القرآن الكريم فوق رأسي وبلا إرادة منِّي وجدتني أصرخ وأبكي ولا أودُّ أن يستمر في القراءة لكنه أخذ يتلو القرآن بصوت أقوى إلى أن فقدت الوعى تماماً وأخذ هو يتحدث مع الجنِّي الذي يسكن جسدي لكني لا أعلم ماذا قالا .

وبعد حوالي نصف ساعة تقريباً وجدتني أفيق وعيناى مليئتان بالدموع والرجل متأزم من أجلي للغاية حيث قال لأمي : (ليه سايبة بنتك كده يا حاجَّة ؟) ..

ولم تجد أمي إجابة سوى الصمت الممزوج بالحسرة والألم ، لكنه تدارك الموقف وقال (كل حاجة ليها حل إن شاء الله .. فوَّضي أمرك لله سبحانه وتعالى .. وخدي الورقة دي بَخريها بيها وقولي لي هتشوف إيه في المنام) ..

وبالفعل عدنا للمنزل وفعلت كما قال لي بالضبط ، فبعد أن تبخرت ذهبت للنوم ولكني أفقت من النوم مفزوعة أرتعد في حالة من الهياج والصراخ وهرولت أمي بسرعة صوب غرفتي بمجرد سماع صراخي وسألتني عما حدث فأخبرتها بأنني خائفة ، وعندما سألتني عن السبب أخبرتها بأنني رأيت قطة سوداء كبيرة تطاردني

في منامي وتود أن تقتلني ، وكلّما حاولت الهرب منها جرت خلفي وأخذت تلاحقني أكثر إلى أن خارت قواى في المنام ، وقامت تلك القطة اللعينة بعضي بالفعل ، واحتضنتني أمي بشدّة وقالت : (ماتخافيش بس قومي صلّي) ..

وقُمت وتوضأت وصلّيت وأحسست بأنّ روحي قد هدأت بعض الشيء ، وعُدت من جديد لذلك الشيخ حيث أعطاني أوراقاً أخرى للإستحمام بها وأخرى أحملها في صدري ، لكن كل تلك الأشياء للأسف لم تستطع أن تحلّ عقد أسحاري اللعينة وباءت محاولات هذا الشيخ الصالح معي بالفشل .

وعُدت إلى أحزاني من جديد وتدهورت حالتي النفسية والصحية للأسوأ حيث أنّ كل ما كان يسيطر على تفكيري في تلك الأيام هو الهروب من المنزل إلى أى مكان .

كنت أهرب عند صديقاتي أحياناً وفي الشوارع أحياناً أخرى ولكني في النهاية كنت أعود للمنزل بعد أن تنفذ النقود التي معي ولم تنته رحلتي مع المشايخ والنصابين ، فقد سمعت أنّ هناك سيدة تعالج مثل تلك الحالات ولكنها كانت نصابة من الطراز الأول ، وانتهت محاولتي معها بالفشل هى الأخرى بعد أن حصلت على مبلغ كبير من النقود من أمي هى الأخرى ، وقد علمت بأنها نصابة بعد أن جاء إليها رجل ونحن جالسين عندها يطلب منها نقوداً لكنها تشاجرت معه ، لهذا اضطر أن يفضح أمرها ويقول الحقيقة أمامنا

جميعاً ونحن عندها حيث قال بأنها نصابة وقد اتفقت معه على استقطاب الزبائن ومعرفة أخبارهم قبل الدخول إليها ثمَّ إخبارها بذلك لكنها لا تود أن تعطيه حقه من النقود كاملاً بل نصف المبلغ الذي اتفق عليه معها .

وانتهت تلك المحاولة هى الأخرى بالفشل وازدادت حالتي سوءاً إلى أن علمت أنَّ هناك رجلاً يعالج الأسحار في قرية صغيرة تابعة لمحافظة الغربيةفذهبت إليه أنا وأمي وأخي وقد حاول ذلك الرجل أن يطمئنَّا في البداية لكن لم أطمئن له منذ الوهلة الأولى حقاً لم أشعر بالإرتياح مطلقاً ، وقد تحققت هواجسي بعد أن وجدته يطلب منَّا أن يخرج أخي من الغرفة .

ولكنِّي ثُرت وتلفظت بأبشع الألفاظ كما بصقت في وجهه وخرجت وحاولت أمي أن تقوم بتهدئتي لكنِّي لم أهدأ ، كما لم يهدأ أخي الذي أراد أن يضربه لكنَّ أمي تداركت الموقف وأخرجتنا من عنده بسرعة خوفاً من تطور الأمر .

ومرَّت الأيام كالعادة والآلام تتزايد وتنتشر في جسدي بأكمله وعلم خالي بتدهور حالتي وطلب من أبي أن يأخذني عنده للإقامة في منزله خوفاً من هروبي من البيت بلا عودة ، ووافقت أمي وبدأت حالتي تتحسن بعض الشيء بعد أن تركت منزلنا الملغم بالأسحار وبدأت أذاكر بالفعل في هذا البيت البعيد عن بيتنا .

وقام خالي بأخذي لأحد المشايخ الذين يعالجون بالقرآن الكريم

في قرية تابعة لمحافظة الشرقية ، وكان ذلك الرجل صالحاً لكنه لم يكن ضليعاً في فك الأسحار السفلية ، فقد شخَّص الحالة على أنها حالة سحر سفلي بوقف الحال والجنون ، لكنه لم يستطع أن يقوم بعلاجي ونصحني بأن أقرأ القرآن وأصلِّي طيلة الوقت .

ولكني لم أستمع لنصيحته وكأنني فاقدة الوعى والتركيز وعدت من عنده كالعادة خائبة الرجاء وتدهورت حالتي أكثر حيث مالت بشرتي للإصفرار ، كما أصبح وجهي شاحباً للغاية وعيناى غائرتان ذابلتان وكأنني امرأة عجوز في الستين .

تحسن نسبي

كان الألم يعتصرني ويفتت جسدي ، كان يتنقل بين أجزاء جسدي المختلفة ، كنت أصرخ بشدة لأنني كنت أشعر بأنَّ هناك من يرقد بجواري فوق الفراش إلى أن جاء يوم وعلمت أمي أنَّ هناك سيدة صالحة تعالج مثل تلك الحالات المستعصية ، وقد علمت ذلك من خالتي التي علمت هى الأخرى من صديقة لها ، وعلى الفور اصطحبتني أمي ومعها خالتي بعد أن تركت منزل خالي إلى تلك السيدة وكنت في ذلك اليوم كالجسد بلا روح لا أرى شيئاً لا أسمع حتى ما يُقال حولي ، وبمجرد دخولنا على تلك السيدة بدأ الألم يتزايد في جسدي أكثر إلى أن أمسكت هى برأسي وأخذت تسرد وتقول : (هذه الفتاة مسحورة سحر سفلي شديد عن طريق أثر قد أُخذ منها على هيئة ملابس وشعر وأظافر وخيط معقود بطول

جسدها بأكمله ، وشراب دخل جوفها) .

(كما تمَّ عمل شبشبة سفلية بوقف الحال والجنون والطفشان والزهقان والفشل في كل شيء في الحياة) . .

هذا بالإضافة إلى المرض الذي من أعراضه الأشواك التي تملأ جسدها وتجعلها تصرخ بشدة طوال الليل وبعض أوقات النهار .

كما تمَّ رش تراب من القبور حول منزلها بأكمله وأمام جميع أعتابها ، وهذا جعلها تتلبس بمارد جنِّي غير مسلم يظهر لها في منامها وتشعر به في يقظتها ، وهو مكلّف بعدم تركها حتى الموت .

وتعجبت من كلمات تلك السيدة بالفعل فهى سيدة أُميَّة لا تقرأ ولا تكتب فكيف لها إذن أن تتكلم اللغة العربية الفصحى بهذه الطلاقة ، ولكني أدركت بعد ذلك أنها تسمع تلك الكلمات من الجان الذي معها ثم ترددها بعد ذلك أمام الحاضرين .

وأحسست بأنها ليست بنصابة ، وبمجرد سماع أمي لتلك الكلمات انهارت وانهمرت في البكاء وسقطت فوق الأريكة التي كانت تجلس فوقها وحاولت تلك السيدة إفاقتها هى وخالتي ، ثمَّ قالت لها :

(احمدي ربّنا إن بنتك لسَّة عايشة لحد دلوقتي واحدة غيرها كانت ماتت من زمان من كُتر الأسحار اللِّي في جسمها) .

وانتهت المقابلة بأن تركت شيئاً من ملابسي لتلك السيدة كى تقوم بفك تلك الأسحار ، وعُدت إلى المنزل وجاء الليل وأحسست أنا

وأمي بأنَّ هناك من يقوم بتنظيف المنزل ودورة المياه على وجه التحديد ، كما أحسست بأنَّ هناك رجالاً كثيرين يقومون بتنظيف المنزل بأكمله وخاصة دورة المياه ، وشعرنا بالخوف في تلك اللحظة وحاولنا مناداة أبي كى يأتي لغرفتنا لكنه كان مستغرقاً في النوم استغراقاً عميقاً فى غرفته لم يكن لدينا الجرأة للخروج من باب غرفتنا أنا وأمي .

كانت هناك أصوات تخترق آذاننا أنا وأمي ، أصوات لإناس يقومون بالتنظيف وأصوات مكانس ومياه ورجال يتحدثون بصوت خفيض وكانت كلماتهم غير مفهومة وبعد حوالي عدَّة دقائق من كل تلك الأحداث فوجئنا بأنَّ هناك يداً لا نراها وُضعت فوق أعين كلانا وبعدها رحنا في ثُبات عميق ولم نستيقظ إلاَّ في الصباح ، وبمجرد إستيقاظي من النوم أحسست بأنني قد نمت نوماً عميقاً عكس جميع الليالي السابقة والتي كنت أظل فيها مستيقظة فوق الفراش أصرخ من شدَّة الألم والخوف .

أمَّا ذلك اليوم فقد كان يوماً مختلفاً وجديداً في حياتي ، فقد أحسست بأنَّ هناك شيئاً يشبه الدوامات يخرج من رأسي بل من شعر رأسي على وجه التحديد ، كما أحسست بأنَّ جسدي قد أصبح خفيفاً للغاية قادراً على الحركة بسهولة ، وذلك بعكس جميع الليالي السابقة .

وتعجبت أنا وأمي مِمَّا حدث وقررنا أن نذهب لتلك السيدة كى

نستعلم منها عما حدث لنا ، وبمجرد أن رأتنا وبدون حتَّى أن نتفوَّه بكلمة واحدة قالت :

(شفتوا الخُدَّام اللِّي أنا بعتُّهم ليكو عشان ينظفوا البيت والحمام ؟)

ثمَّ استطردت وقالت : (ماحستيش بالأسحار بتخرج من جسمك)

فقلت أيُّوه ..

ثمَّ أضافت : (أنا قمت بفك الأسحار اللِّي عندك بس لسه في عندك حاجة اسمها عشق جنِّي) لأن اتعمل لك أكتر من عمل والجنِّي اللِّي معاكي دلوقتي دخل عن طريق سحر تسليط عشان كده مانعك من الجواز وهو جني قوي للغاية وأنا مش قادره أخرجه من جسمك لكني هحاول .

وأدركت في تلك اللحظة أنَّ تلك السيدة كانت صريحة معي فهى قد أبطلت سحر الجنون والمرض لكنها لم تستطع أن تبطل سحر تعطيل الزواج .

ومرّت الأيام وتبدلت أحوالي للأحسن ، فقد انتهت آلامي الجسدية تماماً ، كما انتهت حالات بكائي المتواصل وهروبي من المنزل ، فقد عُدت لطبيعتي الهادئة تلك الطبيعة التي تحترم الجميع .

وبدأت أهتم بدراستي من جديد بل بدأت أخرج من غرفتي بعض الشيء وأشارك في أعمال المنزل ، كما بدأت معاملتي مع الآخرين تتبدل وأصبحت بالفعل إنسانة طبيعية من جديد وحصلت على الليسانس بتقدير مقبول بعد أن كنت قد فقدت الأمل في الحصول عليه .

وكـانت فرحـتي كبـيرة للغـاية ، وبـدأ الخُطَّـاب يتـوافدون من جـديد ، لكـن في تلك المرة كـان الرفـض من جـانبي أنـا ، فقـد كـان ذلك المـارد الجنّي الذي يسكن جسـدي يصوّر لي الخطيب في صـورة غـيـر صورته الحقـيقـيـة ، كـان يبـدل صـورته للأسـوأ في عـيـني فـمنهـم من كنـت أراه كـالقــزم ومنهـم من كنـت أشـم رائحـة كـريهـة تنبـعث منـه تجاهي ، ومنهـم من أرى رأسـه كـبيرة كـالبطيخة المـليئة بالقـروح والبـثـور لدرجـة أنني في كـثـيـر من الأحـيـان كنت أذهـب كـى أتقـيأ بمجـرد أن يقـوم الخطيب بالسلام عليَّ بالأيـدي ، وبـدأ أهـلي يتهمونـني بالتمـرد لأنني من وجهـة نظرهم أنـا التي أرفـض والرفض من جانبي فقـط .

وبقيـت هـكذا ليـالي وشهـوراً رأيت فيـهـا رجـالاً ورجـالاً لكني لـم أرض ، ولكن الشيء الوحيـد الذي أرضـاني فـي تلك الفتـرة هـو نجـاحي في الدراسـة وحـصولي علـى ليسـانس الحـقوق ، وأحـسـسـت بأنني قـد تحـررت من عـبئ ثقيـل كـان يطبـق فـوق صـدري ولكني لـم أجـد مـا أفعـله بعـد التخـرج سـوى الخـروج للعمـل .

وطلبت من أبي أن يقـوم بأخـذ شـقـة جـديدة لنـا كي أكـون قـريبة من مكـان عـمـلي وكي نبـتـعـد عن هـذا المنـزل اللعين المكدس بالأسـحـار والأذى ، وبالفـعـل قـد فـعـل أبي مـا طلبت منـه وقـام بأخـذ الشـقـة الجـديدة ونقلنـا حيـاتنا بأكـملها إلى مـكـان جـديد مغـاير لذلك المكـان الذي لـم أر فيـه سـوى التعاسـة والألـم .

وبدأت حـيـاة جـديدة ، ولكـن برغـم كـل ذلـك لـم أذهب للعـمـل

وحُبست من جديد في حجرتي كما بدأت الكوابيس تزداد أكثر وأكثر وخاصة ذلك الكابوس الذي كان يظهر لي فيه ذلك الرجل الضخم الذي يحاول تقبيلي واغتصابي عنوة ، كان حقاً رجلاً مخيفاً ، كانت بشرته سوداء كما كان فارع الطول وكأنه عملاق أو رجل من رجال حمل الأثقال كان يظهر لي دائماً عارياً كما ولدته أمه ، ومع مرور الأيام تطور الأمر لأبعد من ذلك حيث أصبح يعاشرني معاشرة كاملة كتلك التي تتم بين الأزواج .

ولكن كل ذلك كان عبارة عن حلم لذلك بقيت عذراء وعُدت من جديد لحالة الاستيقاظ طيلة الليل والنوم طيلة النهار ، كما كنت أشعر بحالة من النفور الشديد تجاه أي شخص يأتي لبيتنا طالباً يدي كنت أشعر بأنني أود قتله .

ومن كل هؤلاء الخُطَّاب الكثيرين أذكر ذلك الخطيب الشاب الوسيم الذي قابلته في حانوت لبيع الموبيليا عن طريق الصدفة والذي أحبني منذ الوهلة الأولى ، أحبني لكني لم أحبه ، فقد أردت فقط أن أثبت لذاتي أنني أُنثى ومرغوبة من الرجال كغيري من الإناث ، لهذا وافقت على الخطبة له .

ولكن بعد حوالي ثلاث زيارات لنا هو ووالدته أحسست بأنه قزم قادم من عالم الأقزام ، كنت أرى كل شيء فيه قصيراً بداية من رقبته ونهاية بأصابع قدميه ، كنت أراه أقبح ما يكون .. لهذا كنت أعامله أسوأ معاملة من صراخ في وجهه ونعته بأسوأ الصفات .

كما تطور الأمر ووصل بي إلى حد التطاول على أمه لكنه كان يحبني لهذا تحمَّل كل ذلك لكني لم أجد مفراً من فسخ تلك الخطبة وبدون أى مبررات مفهومة ، فمعظم مبرراتي كانت واهية .

وعادت الأيام لتمر بي من جديد ولكن بدون حياة بعد أن تمكن هذا المارد الجنِّي منِّي ، فقد كان يأتيني كل ليلة ، كان لي بمثابة زوجي الذي لم أتزوجه بإرادة منِّي بل تزوجته رغماً عن أنفي ، كان يظهر لي كل ليلة في أحلامي يأخذ منِّي كل شيء عنوة ، كما كان يظهر لي أحياناً في صورة أشخاص أحبهم ، كنت أفيق من نومي مفزوعة خائفة ، كما كانت أنامله اللعينة تترك آثاراً مزعجة فوق جسدي ، تلك الآثار التي كان لونها يميل دائماً للون الأزرق الداكن .

وهكذا مرَّت أيامي إلى أن جاء يوم وعلمت من جارة لنا أنَّ هناك رجلاً يعالج بالقرآن الكريم وبالأعشاب فذهبت إليه وقد قام هذا الرجل بإعطائي برنامجاً قرآنياً أسير على نهجه لمدة ستَّة أسابيع ، كما أعطاني أيضاً بعض الأعشاب التي كنت أتعاطاها بانتظام كل يوم صباحاً ومساءً .

وتحسنت حالتي بعض الشيء وبدأ هذا المارد الجني يتركني شيئاً فشيئاً حيث أنه لم يكن يأتيني في أحلامي في تلك الفترة كان يأتيني حلم واحد فقط وهو رؤيتي لنفسي في نفق مظلم ضيق نهايته مغلقة وكلما حاولت الخروج منه باءت جميع محاولاتي بالفشل وكان ذلك الحلم المتكرر يصيبني بالفزع دائماً وبالصراخ الشديد ، ولكن باتباعي

لقراءة آيات القرآن الكريم بانتظام ومواظبتي على الصلاة في أوقاتها وخاصة صلاة الفجر بدأت أخرج بعض الشيء من تلك الحياة الكئيبة التي كنت أحياها حيث بدأت أخرج للشارع بعد رحلة سجن طويلة في غرفتي .

فقد ذهبت في تلك الأيام للإشتراك في صالة ألعاب رياضية كي أمارس بعض النشاط الرياضي بدلاً من ذلك الخمول الذي كان يسيطر على حياتي بأكملها ، وهناك تعرفت على بعض الصديقات منهنَّ من تأخر بهنَّ سن الزواج مثلي ، لهذا بدأت أطوف معهنَّ من جديد على المشايخ والنصابين .

انتكاسة جديدة

وبدأت رحلة جديدة من العلاج الوهمي على أيدي الدجالين وكان أول هؤلاء الدجالين ذلك النصاب الذي يُدعى (الشيخ حمادة) وبدأت معرفتي به عن طريق إحدى صديقاتي في صالة الألعاب الرياضية تلك حيث أنّ صديقتي هذه قد أخبرتني بأنَّ هناك رجلاً سرهُ باتع يُدعى الشيخ حمادة ، يذهب للبلدان العربية لمعالجة الأميرات والأمراء والشخصيات المرموقة .

وبمجرد أن سمعت ذلك استعطفتها أن تحدد لي معه لقاءً ، وبالفعل قد حددت لي صديقتي اللقاء معه ولكن بمجرد رؤيتي له لم أشعر بالإرتياح ، فقد كان عجوزاً متصابياً حيث أنه كان يرتدي الچينز والتي شيرت الكاچوال وهو رجل قد تخطى عمره الخامسة والخمسين ،

وأحسست منذ الوهلة الأولى أنَّ هذا الرجل ما هو سوى (زير نساء) فبمجرد أن رآني أخذ يحملق في وجهي بشدة ثم قال : (معمول لك عمل سفلي بوقف الحال وعارض أرضي) .

وأحسست باليأس في تلك اللحظة ولكنه بادرني بالكلمات وقال : (أنا عندي استعداد أفك لك العمل بس أتجوزك وتسافري معايا برَّه) ، وأحسست بالخوف أكثر منه وأنهيت المقابلة بعد أن اعتذرت له بلطف وعلمت بعد ذلك من صديقتي هذه بأنه قد قام بالنصب عليها بعد أن قام بذبح دجاجة فوق جسدها ثم طلب منها أن ترتدي جلباباً أبيض وتغمسه في دم تلك الدجاجة ثمَّ تبيت في غرفة مظلمة لا يوجد بها سوى شمعة واحدة مضيئة فقط ، وأخذ مقابل ذلك مبلغاً وقدره سبعمائة جنيه وهرب ، وحمدت الله أنني نجوت من ذلك النصاب بدون خسائر .

ولم تنته رحلتي مع النصابين فقد سمعت عن رجل آخر يُدعى الشيخ عبد ه .. عفواً (النصاب عبده) وكالغريق الذي يتعلق بقشة ذهبت أنا وصديقتي هذه إليه وكان ذلك الرجل بارعاً في أمور النصب والدجل على الرغم من أنَّ عمره لم يكن يتخطى الثلاثين عاماً في ذلك الوقت ، فقد كان حاد الذكاء والفطنة ، لهذا استغل ذكاءه في النصب على الغلابة .

كان يقطن في شقة صغيرة عبارة عن غرفتين وردهة صغيرة في إحدى المساكن الشعبية الكائنة في مدينة طنطا ، وبمجرد دخولي لتلك

الشـقـة شـعرت بالرهبـة والخـوف وذلـك بعـد أن قامت بفتـح البـاب لي أنـا وصديقتي امـرأة في العـشرينات من عمرهـا ولكنها من شـدة نحـافتها كـادت أن تكون موميـاء عتيقـة محنطـة منـذ آلاف السـنين ، كانت رائحـة الشـقة مقـززة للغـاية تشعرك بالقـرفة لدرجـة الميـل للتقيـؤ .

الجـو كـلُّه كـان يوحي بالخـوف والرهبـة سـواء كـان ذلك من رائحـة الشـقـة أو من الكـلاب والقـطط التي كـانـت تمـلأ المكان . أيضـاً تلك الثعـابين التى تقـابلـك بمجـرد دخـولك من بـاب الشـقـة ونهـاية بذلك الرعـب الذي يتولد داخـل أى شخص من نظـرات تلك المـرأة التي قـامت بفتـح البـاب لنـا ، تلك النظـرات الحـادة المخيفـة .

بعـد كـل ذلك الخـوف والجـو النفـسي المرعـب دخلنـا غـرفة صـغيرة تتـصـاعـد منهـا رائحـة البـخـور ، وجلسنا وبـعـد حـوالي ربـع السـاعـة تقريباً من الإنتظـار دخـل علينـا ذلك الرجـل النصاب الذي يُدعى (الشيخ عـبده) ، وبمجـرد دخـوله علينـا أخـذ يرمقنا بـنظـرات حـادة هـو الآخـر كزوجته تمـاماً ثم قـال (افتحي إيـدك) وفتحت يدي فـإذا بـه يقـول : إنتي آنسـة ؟ فقلت نعـم ، فقـال (مـعـمـول لك عمـل سـفلي بوقف الحـال) ، وكمـا قـال لي قـال لصديقتي ثم جـاء بطبـق صغير أبيـض وأخـذ يكتب فـوقـه بـعـض الأحـرف بالمسـك والـزعـفـران الأحـمـر ثم اسـتـأذن في الدخـول لإحـضـار بعض المـاء من المطبـخ كى يضـعـه في ذلك الطبـق ، وبالفـعـل قـد ذهـب ثم عـاد ومـعـه ذلك الطبـق ، وبعـد أن قـام بوضـع القليل مـن المـاء بداخـله قـال لـي (خـدي اشـربي) ، وبالفـعـل شـربت

وأحسست بعدها بأنَّ جسدي ثقيل للغاية وعجزت عن النطق تماماً لدرجة أنَّ صديقتي هذه خشيت أن أموت ، فقد كنت كالمخدرة تخديراً نصفياً .

ولكن ذلك الرجل النصاب أوهمها أنَّ تلك الحالة التي كنت فيها ما هي إلا نتيجة طبيعية لحضور الجان الذي يتلبس جسدي ، وبعد حوالي ساعة تقريباً من الإعياء والصمت استطعت أن أستعيد بعض قواي وأتحدث ، ووجدته يقول : بقيتي أحسن دلوقتي ؟ فقلت الحمد لله .. فقال : (كده الجنِّي اتحرق لكنه هيظهر لك في البيت على شكل وشوش مرعبة ، ثمَّ قال (هاتي ربعميت جنيه) وأعطيته بالفعل، وكما فعل معي فعل مع صديقتي .

وعُدت إلى البيت وكأنني مخدرة لا أستطيع الحركة لا أستطيع التحدث إلاَّ بصعوبة ، كنت صامتة صمتاً مميتاً وكأنني فاقدة الوعى والاتزان ، وازداد الأمر صعوبة بعد أن وجدت أشكالاً مخيفة تتراقص فوق الحوائط أمامي ، كانت صوراً لأشباح مخيفة .

مرَّت حوالي أربعة أيام على تلك الواقعة ثم ذهبت إليه من جديد مع صديقتي التي ذهبت معي أول مرة ثم انضمت إلينا صديقة أخرى كانت تعاني هى الأخرى من تأخر سن الزواج حيث أن سنها كان قد وصل إلى الثلاثين عاماً ولم يطرق بابها أحد فقد ظنَّت أنَّ هذا النصاب هو الملجأ لهذا لم تردد في المجيء معنا .

ولكن في تلك المرة قد قام ذلك الرجل بضرب تلك الفتاة ضرباً

مبرحاً للغاية بحزام جلدي كان بين يديه ، وفي تلك اللحظات التي كان يضربها فيها أحسست بأنه شخص غير طبيعي فهو شخص سادي يتلذذ بتعذيب الآخرين ، فقد تأكدت من ذلك عندما نظرت في عينيه وهو يضربها بشدّة .

ومن هنا بدأت أشك بأنَّه رجل غير طبيعي ، لهذا قررت أن أدقق أكثر في تصرفاته .

وكما فعل معي في المرة الأولى جاء بنفس الطبق الذي كتب فوقه بعض الأحرف بالمسك والزعفران ثم ذهب لإحضار الماء كالعادة من المطبخ ، وخطرت في خاطري فكرة في تلك اللحظة وتساءلت لماذا يذهب إلى المطبخ لإحضار بعض الماء كي يضعه في ذلك الطبق برغم وجود زجاجة ماء موجودة بالفعل فوق الطاولة بالإضافة لوجود كوب من الماء قد جاءت به زوجته عند تقديمها الشاى لنا ؟

وقررت في تلك اللحظة أن أعرف الحقيقة لهذا ذهبت خلفه بحجة أنني أود دخول دورة المياه وأخذ عقلي يفكر في تلك الحيلة التي يستخدمها هذا الرجل للإيقاع بضحاياه إلى أن فوجئت به يقوم بوضع حبّة صغيرة من علبة صغيرة أيضاً في ذلك الطبق الذي كان بين يديه ثم أخذ يسحقها بشدة إلى أن أذابها بالماء بعد ذلك .

كل ذلك شاهدته وأنا أرقبه من خلف الستار الكائن فوق باب المطبخ وأدركت في تلك اللحظة أن هذا الرجل يستخدم دواءاً معيناً للإيقاع بضحاياه ، وكما حدث لي حدث لصديقتي نفس الأعراض ونفس الصمت .

وعلى الفـور خـرجت من عنـده بدون أن أخبـر أى شـخص بمـا رأيت وذهبت إلى عـدَّة صيدليـات وأخـذت أستشير الصـيدلي الموجـود في كـل واحـدة منهـا وأسـأله عن الأعـراض التي حـدثت لـي أنـا وصـديقـاتي ، وكـانت إجـابات جميـع الصيادلة واحـدة .

فقـد أجمـعوا على أنَّ تلك الحبوب ماهى إلا حـبوباً للهلوسة وتلك هى أعراضها ، ومـن أهـم تلك الأعـراض ظهـور العـديد من الوجـوه المرعبـة فـوق الحـوائط التي يخيّـل للشخص أنـه يراهـا أمامـه والشـعور بالخمـول والتخـدير والصمت لأنّ بهـا نسـبة كبـيرة من المخـدرات .

وبعـد أن تأكـدت ممـا شككت فيـه وأصـبح يقـيناً بالنسـبة لي ذهبت لذلك النصاب من جـديد وواجهته بأنني اكتـشفت جميـع ألاعيبـه القـذرة وكيفـية خداعـه للنـاس وبيعـه الوهـم لهـم ، وهـددته بالإبلاغ عنـه ولـم يجـد أمامه سـوى الإعتراف لي بمـا واجهته بـه ثم استطرد قـائلاً :

(أبوس رجـلك بلاش تبلـغي عـنِّي وأنـا هديكـي الفلوس اللـي إنتي عايزاهـا) .. تعـالي اشتغلي معـايا ونـقسـم بالنـص ، أنـا محتـاج لذكاءك معـايا ..

لكني تطاولت عليـه بالشتائم والصـراخ وتركتـه وذهبت .

هـذا مَـثَـل من بين تلك الأمـثـلة العـديدة في زمـاننا هـذا ، نصـاب من بين النصابين الكثـيرين الذين يستغلون ضـعف النـاس وسـذاجتهم وشـدَّة احتياجهم للعـلاج .

أمَّـا الرجل الثـاني أو النصاب الثـاني فهو أذكى بكثـير من ذلك النصاب

الأول ، فهو لا يطلب أي شيء من النقود من المرضى الذين يلجأون إليه بحثاً عن العلاج ، لكنه يحصل على ما يريد بطريق غير مباشر .

اسألوني كيف ؟

أخبركم كيف ..

هذا الرجل من بلدة صغيرة تابعة لمحافظة الغربية ، لكن صيته قد ذاع لدرجة لا يتخيلها عقل بشري ، لدرجة أنَّ الناس يهرعون إليه من البلدان العربية والأجنبية أيضاً بحثاً عن العلاج ، عفواً (الوهم) .

وأنا واحدة من بين هؤلاء الناس الذين سمعوا عنه ، لهذا قررت الذهاب إليه ، وبالفعل ذهبت إليه بصحبة والدي الذي وافق بعد أن علم أنَّ هذا الرجل يعالج بالقرآن فقط وليس عن طريق الطلاسم والتعاويذ وبمجرد وصولنا إليه بعد معاناة شديدة في الطريق رأيت جموعاً من البشر لا حصر لها وكأنني في مولد من الموالد الكبيرة مثلاً وبعد عناء انتظار دام حوالي خمس ساعات تقريباً جاء دوري ، فدخلت وإذ بي أرى العجب .

المشهد كالآتي :

رجل كهل يجلس فوق أحد الأرائك المتهالكة في بيت قديم وكأنه حظيرة للمواشي ويجلس بجواره رجلان آخران أخذاني من يدي ثم قالا لي (تعالي قدّام الشيخ) ، ووقفت وكأنني مسلوبة العقل والإرادة فإذ به يضع يده فوق رأسي لمدة لا تزيد عن الثانية ثم يقول : سحر سفلي بوقف الحال بالإضافة لحالة لبس جنّي قد وصل إلى الزيجة ..

وبدون أن أدري وجدتني ملقاة فوق الأرض وهذان الرجلان ممسكان بي ويضرباني بشدة لدرجة أنني أحسست بأنني أحتضر بعد أن أطبق أحدهما كلتا يديه حول عنقي محاولاً خنقي ، ومن لطف الله بي أنه في تلك اللحظة الأخيرة التي تسبق فراق الروح للجسد ترك ذلك الرجل رقبتي بأعجوبةولم أجد أمامي سوى الصراخ الشديد .

كل هذا وأنا حولي المئات من البشر يراقبون ما يحدث لي ، وبعد حوالي ربع الساعة تقريباً من هذا العذاب من الضرب المتواصل والصراخ وجدت هذين الرجلين يقولان لي (قومي) فقمت وكادت قدماي في تلك اللحظة ألا تحملاني ، كدت أسقط من شدَّة الإعياء والتعب ، لكني تحاملت على نفسي بعد أن قام أبي بمساعدتي فإذا بهذا الشيخ يقول : تعالي كمان ثلاث جلسات ثلاث جمع متتالية .

ووقفت أرقب الموقف من بعيد فإذا بي أرى أنَّ ما حدث لي حدث للمئات الموجودين في هذا المكان ولكن كلاً منهم على حده ، نال نصيبه من الضرب مثلي تماماً كما قيل له نفس ما قيل لي سواء سحر سفلي أم لبس أم مس أرضي .. لدرجة أنه كان يوجد هناك رجل كسيح يجلس فوق مقعد متحرك لم يسلم هو الآخر من الضرب المبرح .

وبعد أن أخذت تلك العلقة الساخنة عُدت إلى البيت فإذا بي أرى جسدي في المرآة عبارة عن كتلة زرقاء من شدّة الضرب كما كانت الدماء تنزف من رقبتي بعد أن خضت تلك المعركة الضارية بيني وبين هذين الرجلين المساعدين لمولانا الشيخ .

ولـم أذهب لهـذا المكـان ثانية إلى يومنـا هـذا الطريف في الموضوع أنني سمعت أن ذلك الرجـل الشـيخ قـد قـام بربط أحـد المرضى بالأحبـال ثم طلب من هـذين الرجلين المساعـديـن لـه أن يلقـوه في مـاء (التـرعـة) الصـغيـرة التي تحيـط بـالمكـان ، وكـان مبـرره فـي ذلك هـو غـرق الجـني الذي يتلبس جسـده في المـاء .

وبعـد أن غـرق الرجـل في المـاء وكـاد أن يفـقـد حيـاته ثمنـاً للخـرافة هرع أهـله إليـه لإنقاذه وإخراجـه من المـاء ثم قاموا بفـك قيوده بعد ذلك .

ألهـذا الحـد نحـن سُذَّج كي يستخف بعقولنا أمـثـال هـؤلاء النصابين في هـذه الحيـاة .

ويبـقى السـؤال .. ما الذي يستفيده هـذا الرجـل ؟

الاستفادة هى أنَّ هـذا الرجـل يأتي إليـه آلاف البشـر كـل يـوم جمعـة من كـل أسـبـوع ، كـل هـؤلاء يأكلون ويشـربون والأكـل عـبـارة عن ساندويتشات والشـرب شـاى وقهـوة وجميع أنـواع الميـاه الغـازية ، لهـذا كـان يجب فـتـح العـديد والعـديد مـن المقاهي والكافـيـتريات بالإضـافـة للبـاعـة المتـجـولين كـل هـذا لـه ثمـن .. كـل تلك المبـيعـات الـرهيبـة لـزوار المكان لهـا مكاسب مـادية .

ويبـقى السؤال .. لمـن تلك المكاسب المـادية أو عـلى الأقـل نسـبة منهـا سأترك لـكم الإجـابة ..

هنـا يكمن الذكـاء بـل هنـا يكمن النصـب .. لست أملك سـوى قولي حسبى الله ونعـم الوكيـل .

أمَّا الشيخة (ف) .. عفواً النصابة (ف) .. فهى من قرية صغيرة تابعة لمحافظة الغربية ، تلك المرأة التي يلتف حولها الآلاف من البشر هى الأخرى ولا يتم الدخول إليها إلا بالحجز ، وحجز الكشف أو (الفيزيتا) قدره عشرين جنيهاً ، وفك العمل بالمائة والخمسمائة والألف والأكثر من ذلك أحياناً (كل واحد وحظه) بل كل شخص حسب إمكانياته المادية ، فتلك السيدة تحدد ثمن فك العمل حسب شخصية الضحية ، وكلما كانت الضحية مقتدرة مادياً كلما زادت الأتعاب (أتعاب ست الشيخة النصابة) .

وتلك السيدة لم يلتف حولها كل هؤلاء البشر من فراغ ، فهى سيدة شديدة الذكاء ، فهى تستطيع أن تحدد مدى ثراء أو فقر الشخص الذي يذهب إليها عن طريق ملبسه وهيئته ، وبالنسبة للنساء طبعاً يتحدد ذلك بسهولة فالثراء يظهر بسهولة سواء كان ذلك في الملبس أو فى كمية المجوهرات التي ترتديها السيدة بالإضافة إلى أنَّ تلك السيدة تسأل الضحية عن أدق التفاصيل ، لهذا فهى تستطيع أن تعرف بسهولة مستواها المادي سواء كان مرتفعاً أم منخفضاً .

وبناء على ذلك تقرر أتعابها وهى لا تعمل بمفردها بل يعاونها أبناؤها وزوجاتهم وأولادهم أيضاً فأحد الأبناء يقف كي يستقبل الزبائن ويسمح لهم بالدخول من الباب الرئيسي ، والإبن الآخر يقف (ناضورجي) لمراقبة المكان .

وآخرون لا أعرفهم ولا أعرف من هم يقومون بأخذ قيمة الكشف

وهي العشرين جنيهاً ثم يقومون بإعطاءك ورقة فيها الاسم ورقم الدخول وكل حسب دوره ، وبالطبع هناك كشف مستعجل إذا دفعت أكثر.

كل هذا رأيته بعيناي ، وكل هذا فعلته .. دفعت العشرين جنيهاً وانتظرت حوالي ثلاث ساعات متواصلة إلى أن جاء دوري فإذ بي أسمع من ينادي اسمي ويقول (ادخلي للست الشيخة) ..

ودخلت غرفة مظلمة بعض الشيء تتصاعد منها رائحة البخور المتصاعد من مبخرة صغيرة تجلس أمامها امرأة سمينة بيضاء ، وجهها جميل للغاية لكنه مليء بالخداع والمكر ، هذا ما استشعرته تجاهها منذ الوهلة الأولى ، كما استشعرت أنها مرتبكة بعض الشيء .

وأخذت أتلفَّت حولي فإذ بي أرى العديد من الرجال والنساء والأولاد والبنات يلتفون حولها ولكنها بمجرد أن رأتني قالت (تعالي هنا جنبي) ..

وجلست بجوارها وسمعت حديثها مع كل شخص من الأشخاص الجالسين كل بحسب دوره وكان الكلام واحداً ..

(انت معمول لك عمل .. أو انت ملبوس) ..

وتعجبت وقلت في قرارة نفسي هل يعقل أن كل هؤلاء الناس مسحورون وملبوسون ، ألا يوجد بين كل هؤلاء الأشخاص شخص واحد سليم معافي على الإطلاق ؟ ولكني لم أجد الإجابة .

إلى أن جاء دوري حيث وجدتها تقول لي (خير يا عروسة) ..

فقلت (أنا عايزاكي انتي اللي تقولي لي فيه إيه ؟) .

فقالت (انتي بنت بنوت) فقلت (أيُّـوه) ...

فقالت (معمول لك عمل سفلي ومدفون في مقابر النصارى في البساتين) .

فقلت (وإيه علاجه يا حاجة ؟) ..

فقالت (هاتي خمسمائة جنيه وتعالي يوم الثلاثاء الجاى وهخرّج لك العمل) .

فقلت (ليه الثلاثاء بالتحديد ؟) ..

فقالت (لأني مخصصة يوم الثلاثاء لإخراج الأعمال بس) ..

وعلى الرغم من أنني لم أقتنع بأى كلمة ممَّا قالت ، كما أنني لم أسترح لها على الإطلاق .. إلا أنني قررت الذهاب إليها يوم الثلاثاء كما قالت.

وذهبت بالفعل ولكن بدون نقود ..

وكالمرة الأولى انتظرت حوالي ساعتين قبل الدخول إليها حتى جاء دوري ودخلت فوجدتها جالسة بمفردها أمام المبخرة ، فتلك المرة لم يكن سواها بالغرفة عكس المرة الأولى حيث أنّ الغرفة كانت مكدسة بالزبائن ، وعجبت من ذلك في بادىء الأمر ! لكني علمت السبب بعد ذلك فالسبب هو أنها تستطع أن تخدع شخصاً بمفرده لكنها لن تستطيع أن تخدع مائة شخص مثلاً مجتمعين ..

وبمجرد دخولي رحّبت بي كالعادة وقالت : (الجنِّي هايجبلك العمل بتاعك دلوقتي ، بس ودِّي وشّك الناحية التانية وأوعي تبصي لي أحسن الجني يأذيكي) .

وفعلت كما طلبت منِّي ووجدتها تتمتم ببعض الكلمات التي لم أفهمها ثم قالت : (أوعي تبصيلي أبداً) ..

وإذ بي أسمع صوت أكياس بلاستيكية بين أيدي تلك المرأة وعلمت أنها بين أيديها من صوت الأساور التي كانت ترتديها .

وأخذني الفضول واستدرت فجأة فإذا بي أجدها تخرج كيساً بلاستيكياً من صدرها لكني تداركت الأمر بسرعة وعُدت لوضعي الأول قبل أن تراني هى .. ثم قلت خلاص .. فقالت استني وأوعي تبصي أحسن تتأذي .

وبعد حوالي ربع ثانية تقريباً وجدتها تقوم برجمي بذلك الكيس البلاستيكي في ظهري ثم تقول بصوت مرتفع : الله أكبر الله أكبر العمل أهه العمل أهه ..

واستدرت ناحيتها وأخذت العمل منها فوجدتها تقول لي (أوعي تفتحيه هنا .. افتحيه عندك في البيت بعد ما تروحي أحسن تتأذي .

وكان ذلك كي لا يفتضح أمرها ، فكل الأكياس البلاستيكية التي تقوم بتوزيعها على الزبائن الغلابة متشابهة ..

وسألتني عن النقود بعد ذلك فقلت لها : (أنا معايا خمسين جنيه بس) ..

فقالت : مش مشكلة هاتيهم .. وقد أخذْتهم منِّي بالفعل ..

وخرجت من عندها وأنا مصممة أن أصل للحقيقة ، فانتظرت خارج الغرفة ..

وعلمت من السيدة التي دخلت بعدي أنها قالت لها نفس الكلمات وطلبت منها أن تفعل مثلما فعلت أنا بالضبط .

وقمت بإجراء التجربة مع خمس ضحايا آخرين من الزبائن الذين دخلوا بعدي ، لهذا اتفقنا جميعاً أن نقوم بفتح تلك الأعمال التي أعطتها لنا ..

فإذا بنا نفاجأ بأنَّ جميع اللفّات التي خدعتنا وقالت بأنها أعمال قام بإخراجها الجني الذي معها ما هى إلا صورة طبق الأصل من بعضها البعض ، فكلها كانت عبارة عن بعض الأتربة أخذت من ذلك الفرن البلدي الذي يقع في وسط المنزل الذي تجلس فيه تلك النصابة المحترفة .

كما تحتوي أيضاً تلك اللفة على قطعة قماش بيضاء وبعض القش وبعض من ريش الدجاج ، وكأنَّ من قام بعمل كل تلك الأعمال هو ساحر واحد .

وأدركنا جميعاً بأنها امرأة نصابة لكننا برغم كل تلك البراهين والأدلة شعرنا بالخوف وقمنا بالهرب ، فقد خفنا أن تقوم تلك السيدة وأولادها بضربنا أو حبسنا في ذلك المنزل الذي تقطن فيه .

وهذه قصة أخرى من قصص النصب واللعب بعقول الغلابة ..

أمَّا النصابة الأخرى فهى امرأة أميَّة من قرية تابعة لمحافظة الدقهلية .

وبرغم أنَّ تلك المرأة أميَّة تجهل القراءة والكتابة إلا أنها حادة الذكاء والدهاء ، هذا ما رأيته في عينيها بمجرد دخولي عليها ، ومنذ اللحظة الأولى .

في بدايـة الأمـر طلبت مـنّي أن أظـل خـارج الغـرفـة حتى تـقـوم هى بتحضـير الجنيَّـة التي معهـا أولاً ..

وبالفـعـل انتظـرت خـارج الغـرفة ولكن بـعـد حـوالي عـشـر دقـائق وجدتهـا تناديني بـصـوت آخـر مغـاير لصوتهـا الحقيقـي الذي كلمتني بـه عند دخـولي ، ولبَّيت نداءهـا ودخلت عليهـا الغـرفةفـإذ بي أجدهـا تضـع فـوق وجهـهـا طـرحة بيضـاء شـفـافة ، كمـا رأيت خـلـف تلك الطـرحة وجهـاً غريبـاً ليس هـو وجههـا الذي رأيتـه عنـد دخولي المنـزل .

وعندمـا سألتها عن ذلك قـالت (أنـا مـش الشيخة اللِّي انتي شفتيها لمـا دخلتي ، أنـا الجنيَّـة اللِّي حضـرت ودا وشِّي واسـمي الشـيخـة بثـينـة .. ملكـة ملوك الجـن الأحمـر) ..

ولـم أستطع أن أتفـوَّه بـكلمـة فكـلّ جسـدي كـان يرتـعـد من شـدَّة الخـوف

ثـمَّ استطردت (مـعـمـول لك عـمـل سـفلي بوقـف الحـال وعـشـان يتفـك مهـتـاج ثلاثمائة جنيـه) .

ووافقـت على الفـور كـى أتخلص من ذلك العـمـل اللعـين الذي دمَّـر حيـاتي ، وقمـت بإعطائها الثلثمائة جنيـه)

فقـد كـان معي في ذلك اليـوم خمسـمائة جنيـه

وبدأت أتحـدث معـهـا وأحاصرها بأسـئلتي وتجيبـني هى ، ولكن فجـأة أراد الله أن يظهـر لي الحـق من البـاطـل فـقـد تغـيـر صوتـهـا فـجـأة وعـاد صـوتها الحـقـيـقي ، ولكني لـم أظهـر لهـا بأنِّـي لاحظـت ذلك.. ولشـدة

ذكـاءها تداركت الأمـر بـسـرعـة وعـادت للصـوت الآخــر ، ولكن بعـد عـدّة أسـئلة وأحـاديث دارت بـيني وبينهـا وجدتـهـا تقـول : أنـا أى حـد يجيلي هنـا يسـأل عن الشـيخـة أم محمـد ألف مـين يدلُّـه ، أنـا زى النـار على عـلم .

فقلت لهـا : انت مـش الجنيَّـة بثينـة من عـالم الجـن الأحـمـر فتلعثمت وقـالت : آه أنـا .. نسـيت .. صـح .

وأدركت في تلك اللحظـة اللعبـة وقـررت أن أصـل للحقيقـة كاملة .

لكنهـا بعــد ذلك الخطـأ الذي وقـعت فـيـه حـاولت أن تتـدارك الأمـر فوجدتها تقـول ..

(خـلاص أنـا كـده فكّيت العمـل ..) .

فقلت لهـا : وكـلِّي مكـر وخبـث ودهـاء .. إزَّاى ؟

فقالت : أبطلتـه وخـلاص .. ما تسألينيش إزاي ..

وازداد في تلك اللحظـة غـيـظي منهـا ولم أتمـالك نفسي فـقمـت بنـزع تلك الطـرحة البـيضـاء الشـفافـة التي كانت فـوق وجهها لأجـد قناعاًمن تلك الأقنعـة التي يلـعب بهـا الأطفـال الصـغـار ، ولـم تستطع أن تتـفـوّه هى في تلك اللحـظـة بكلمـة واحـدة من شـدَّة الخـوف والخـجـل منِّي ، ولكني تداركـت الموقـف وقلت لهـا (هـاتي التلتـميت جنيـه) ، فقـالت (لأ) ..

وصُعقـت من هـذا الـرد فقلت لهـا وكـلِّي تحدي : هبـلَّغ عنـك ..

فقالت بتحـدِّي وعنـاد أكثـر .. بلَّـغي ..

(شايفة الصورة دي .. دي صورة أخويا يقدر يحميني .. مش هتقدري تعملي لي حاجة) ..

(ولو ما خرجتيش دلوقتي هلبسك تهمة) ..

فقلت لها : أد كده انتي ذكية ؟

فقالت : بس مش أذكى منك ، الناس هما اللِّي أغبيا ومحدِّش يلاقي فلوس جيّاله من الهوا يا حبيبتي ويقولها لأ ..

فقلت إزَّاى بتقدري تضحكي على كل الناس المتعلمة دي وانتي مع احترامي واحدة أميَّة ؟

فقالت : العلم في الرّاس ، وبالحيلة تقدري تاخدي كل اللِّي انتي عايزاه ..

ثم وجدتها تنادي على رجلين قد جاءا إليها بسرعة من خارج الغرفة ، وقالت : خدوها طلّعوها برَّه ولو عملت قلق شوفوا شغلكوا معاها .

وأحسست بالخوف في تلك اللحظة ولُذت بالفرار بلا رجعة ، وأدركت بعد كل ما رأيت أنَّ سبب الكوارث كلها نحن وليس النصابون أو المحتالون ، فنحن الذين نعطيهم الفرصة لإبتزازنا .

هكذا مرَّت بي الأيام من نصاب لآخر ومن نصابة لأخرى ..

أنتقل من بلدة لبلدة إلى أن ذهبت لسيدة في قرية صغيرة تابعة لمحافظة الغربية ، تلك السيدة التي يشهد لها الجميع بأنَّ سرَّها باتع ، وبمجرد أن رأتني قالت (عمل سفلي بوقف الحال) ..

كالعـادة فالتشخيص دائمـاً ما يكون واحـداً ، وقلت كالعـادة ..
وإيـه العمـل يا حاجّـة ..
فقالت : خـدي البخـور ده والأوراق دي اغسـلي جسـمك بيهـا ..
وبالفعـل فعلت كمـا قـالت لي بالضبط ..

وإذ بي أجـد ذراعي الأيسـر قـد أصبح كـتـلة من الألـم وبـدأ الألـم يتزحزح للأسـفل إلى أن وصـل لإصبعي الصـغيـر وأحسسـت أنَّ شـيئاً ما قـد خـرج من إصبعي كمـا أحسست بالراحـة بعض الشيء ، لكـن بقيـت الأحـلام المزعـجـة مـلازمـة لي وبـقى نفس المـارد الجـني يـطاردني ، وقـررت أن أذهب لتلك السـيدة من جـديد كـى أسـتـشيـرها ، لكني لـم أجدهـا فقـد كـانت في المملكة الـعربيـة السـعودية حـيث ذهبت للحـج وعُـدت إلى المنـزل حزينـة لأنني لـم أجدهـا ، فقـد كـانت بالنسبة لي هى المـلاذ الأخـير بعـد أن تمكن هـذا المـارد الجـني مـنِّي لدرجـة كبيرة ، وبعـد أن بـاءت جميـع المحـاولات في خطبتي لأى شـخص بالفشـل ..

عـريس من الجـن

وبينمـا أنـا غارقـة في بحـر يأسي وخـوفي نمـت ذات ليـلة فـإذ بي أرى أنَّني عـروس وأرتدي ثـوب زفـاف أبيـض ولكنـه كـان مـخـتلـفـاً عن أثـواب الزفـاف في عـالمنـا هـذا ، فـطـوله كـان ممـتـداً لأبعـد مـن آخـر حـدود نظـر أى شـخص وعـلى جـانبى ذيـل هـذا الفسـتـان الطـويل كـانت الـورود المنثـورة تمـلأ المكـان وتحيطني من جميـع الجهـات ، وكـان بجـواري رجـل وسـيم للغـاية يحـتـضنني بشـدة .. ذلك الرجـل الذي

أدركت بعد ذلك أنّه المارد الجنّي الذي يسكن جسدي ويعتبر نفسه زوجاً لي رغماً عنّي لكنه ظهر لي في تلك الليلة بتلك الصورة الجميلة كي لا أخاف منه ..

وبالفعل كنت سعيدة للغاية وأنا بين أحضانه في ثوب الزفاف (الأبيض) وهو في تلك السترة السوداء الأنيقة ، كنّا في قصر كبير .. جميع جدرانه مرصعة بالذهب والماس ، كل شيء فيه كان جميلاً ، حقاً كان حفلاً لعرس أسطوري لم أر مثله من قبل في عالمنا هذا ، وقد قال لي لحظتها وهو يحتضنني (أنا جوزك وعمري ماهسيبك لحد غيري أبداً لكني كنت سعيدة به) .

ومنذ ذلك اليوم وأنا أسعد به كلما كان يأتيني .. لأنه كان يأتيني في صور جميلة غير تلك الصورة التي تُفزعني ..

ومنذ أن رأيت ذلك الحلم وأنا أبداً لم أغادر غرفتي فقد حُبست فيها لمدة ثلاث سنوات متواصلة وانقطعت صلتي بالعالم الخارجي وبالشيوخ وبالنصابين وبجميع البشر بصفة عامة .

كنت أصحو طيلة الليل وأنام طيلة النهار وبدأ الناس يتساءلون أين ذهبت الفتاة ؟ لكن أمي كانت تتهرب من الإجابة عن الأسئلة وتقول : مشغولة شوية في تحضير الماچستير .

كما كانت تقوم بإدخال الطعام لي في حجرة نومي بل فوق سريري وكأنني سيدة عجوز كسيحة ، كنت أشعر بأنّ الخروج للشرفة عبء ثقيل جداً ، لهذا كنت أخشى الخروج وأكتفي بإغلاق جميع الأبواب والنوافذ .

مرَّت الليالي بي وأنا هكذا بين الحياة والموت ، الشيء الوحيد الذي يجعلني أخرج من باب غرفتي هو الدخول لدورة المياه فقط لاغير ، ساءت علاقتي بأهلي كثيراً حيث أنه لم يكن بيني وبينهم أى لغة حوار لأنهم لم يكونوا يروني مطلقاً ، كما انقطعت عن جميع صديقاتي اللواتي صادقتهم في صالة الألعاب الرياضية التي كنت أذهب إليها .

كنت أحيا في عالم آخر مع ماردي هذا ، كان يأتيني كل ليلة يحكي لي جميع أسرار البشر ، كما كان يأخذني لأماكن كثيرة في أحلامي .. أماكن أعرفها وأخرى لم أرها مطلقاً من قبل ، كنت أرى كل شيء قبل حدوثه سواء كان ذلك الشيء عرساً أم مأتماً ، فأى شيء كنت أراه في الليل كان يتحقق في الصباح ، أحسست بأنَّ أمي أصبحت تخاف منِّي .. أيضاً أبي وأخوتي لأنَّ أبي استيقظ ذات يوم كى يصلي الفجر فإذا به يراني جالسة تحت تلك المنضدة الكائنة في ردهة الشقة وبمجرد رؤيتي له أخذت أهرول وأجري إلى أن دخلت غرفة نوم أمي .

وتعجب والدي من ذلك التصرف ودخل غرفة أمي بسرعة فلم يجدني عندها فقد وجدني في غرفتي فوق فراشي وسألني (إنتي كنتي تحت الترابيزة) ، فدُهشت ونفيت بالطبع لأنني لم أخرج من غرفتي في ذلك اليوم ثم وجدته يقول لي : بس اللِّي كانت تحت الترابيزة كانت سمينة عنِّك شوية ووشها حسِّيت إنه وارم شوية .

ولم أعلق على كلماته ثم وجدته يستطرد ويقول : إنتي كنتي

لابسة هدوم مش زى هدومنا .. دي كانت هدوم من عالم تاني ومن عصر تاني ..

وأدركت في تلك اللحظة وفهمت ولكني لم أعلّق ..

كما أنَّ أخي الكبير كان يراني في أماكن مختلفة لم أذهب إليها مطلقاً ، أيضاً أمي كانت تسمع صوتي أناديها وهى خارج المنزل .. كل تلك الأشياء جعلت أهلي يخافون منِّي بشدة .

كل تلك الأحداث وأنا في غرفتي لا يحدث لي أى شيء جديد في هذه الحياة سوى الصمت والعزلة .

إلى أن وجدت أمي تخبرني بأنَّ تلك السيدة التي سافرت للحج قد عادت وقد ألحَّت عليَّ أن نذهب سوياً لها .. وبالفعل ذهبنا وقامت بإعطائنا أشياء وأشياء لعلاجي .

وحدثت أحداث جديدة حيث بدأ الخُطَّاب يتوافدون أكثر وأكثر رجال ورجال .. ولكني لم أكن أود أن أرتبط بأى رجل منهم .

كلُّهم في النهاية لا يصلح أيّ منهم أن يكون زوجي .. فأنا متزوجة بالفعل من ذلك المارد الجني الذي أخبرني أنه لن يتركني أتزوج غيره مطلقاً ..

أمل جديد

ووصلت بعد كل ذلك الفشل في الإرتباط بشخص ما إلى حالة من الإكتئاب الشديد واليأس الذي أوصلني للتفكير في الإنتحار ، لكن الله بعث في طريقي في تلك اللحظة رجلاً صالحاً ، وكان ذلك الرجل شيخاً يعالج بالقرآن الكريم حيث قال لي :

(اتَّجهي لله يابنتي هو اللِّي هيقدر لوحده يطلعك من محنتك . مالكيش علاج غير كده .. القرآن ، وطريق ربنا هما العلاج وجرَّبي مش هتخسري حاجة) ..

وقام بإعطائي كتاباً للأذكار والأدعية ومعه مسبحة كي أذكر الله وعُدت إلى المنزل وكل ما كان يسيطر على تفكيري كلمات ذلك الرجل الصالح التي كانت تخترق أذناى ، ووجدتني أنهض بسرعة كي أقرأ وأقرأ إلى أن تعبت من القراءة ثم أمسكت بذلك الكتاب الذي أعطاه لي ذلك الرجل وبدأت أذكر الله الذي نسيته في تلك الدوامة التي كنت فيها إلى أن سمعت آذان الفجر فقمت لأصلي وأصلي إلى أن تعبت من كثرة الصلاة ولكني لم أستسلم وقررت منذ تلك اللحظة أن أنتصر على ذلك المارد الجني وكان سلاحي الوحيد هو (طريق الله) ..

مرَّ حوالي تسعون يوماً وأنا كما أنا .. بل كان يزداد إصراري وإيماني بأنَّ الله سبحانه وتعالى هو الوحيد القادر على شفائي من السحر وليس سواه .

وملأني اليقين وتمكن منِّي بعد أن فوضت أمري كله لربي الذي خلقني ولم يخذلني ربِّي فهو الذي خلقني وهو الوحيد القادر العالم بما أشعر به من ألم .

لهذا كان بجانبي بعد أن اتجهت إليه بعد كل ذلك التخبط الذي تخبطته قبل ذلك ..

وحدثت المعجزة.معجزة الشفاء.

وحدثت المعجزة الإلهية التي لا يصدقها عقل بشري ..

حيث ذهبت للنوم كالعادة بعد صلاة الفجر فإذ بي أرى رجلاً في منامي عمره لا يتعدى الخامسة والأربعين أبيض البشرة لدرجة توحي بالنور ، كما كانت تكسوها بعض الحمرة ذو لحية سوداء ليست بالطويلة وليست بالقصيرة ، كل شيء فيه كان معتدلاً وجميلاً .. جاءني من بعيد متجهاً نحوي ، كان يبتسم كما كان يرتدي جلباباً أبيض قصيراً بعض الشيء وسروالاً أبيض ، أخذ أبي من يده واتجها الإثنان نحوي أنا وذلك الجني الذي كان واقفاً بجواري في تلك الرؤية ثم أخذ يصيح فى وجهه ويقول : (حرام عليك سيبها بقه ، حرام عليك وقَّفت حالها سيبها تعيش حياتها زى الناس .. طلقها .. طلقها حرام عليك طلقها طلقها) ..

ثم أخذ يصرخ بشدة سيبها بقه ارحمها .. وإذ بي أرى ذلك المارد يتقهقر للوراء ويتركني وهو يردد : إنتي طالق طالق طالق .. قالها ثلاث مرات متتالية ثم اختفى .

فإذا بأبي يأتيني بعد ذلك ويقترب منِّي ثم يأخذني من يدي هو وذلك الرجل الذي قال لأبي وهو يربت فوق كتفه ويبتسم تلك الابتسامة الهادئة (مبروك يا حاج مبروك يا بنتي مبروك) ..

وأفقت من نومي على تلك الكلمة وأحسست بأنني سعيدة وخائفة في آن واحد ، كانت إحساساتي متضاربة لا أستطيع أن أصفها ، فقد أحسست

بأنَّ هناك شيئاً ما يتبدل لأنه منذ تلك الرؤية لم يظهر لي ذلك المارد ثانية مطلقاً ، فقد نجحت كلمات الله سبحانه وتعالى في الشيء الذي فشل فيه جميع البشر ، وتلك معجزة إلهية من معجزات القرآن الكريم .

وهكذا بدأت الأيام تبتسم لي شيئاً فشيئاً وأنا كما أنا لم أترك القرآن ولم أترك الصلاة بل تعمقت أكثر وأكثر وتقربت إلى الله أكثر وأكثر لأنني كنت أود أن أشكر الله سبحانه وتعالى على شفائي من ذلك السحر اللعين .

إلى أن جاء يوم وكان ذلك اليوم بعد حوالي ثمانية أيام من رؤيتي لتلك الرؤية وذهبت كالعادة للنوم فرأيت في منامي كأنني في حظيرة للماشية مليئة بالقش من الأسفل ومن السقف حيث أنَّ سقف تلك الحظيرة كان قشاً كثيفاً فسمعت صوتاً يأتيني من خلف هذا القش الذي هو سقف الحظيرة ويقول لي : (العمل بتاعك في قبر فتحية أم عز الدِّين .. روحي هاتيه) ثم اختفى ذلك الصوت الآتي من بعيد بعد ذلك .

وكانت فتحيَّة أم عز الدِّين هذه سيِّدة متوفَّاه أعرفها أنا وأمِّي ..

وأفقت من نومي على صوت ذلك الهاتف وأخبرت أمي بذلك فقالت : (حرام عليكي الموتى ليهم حُرمة حرام لَمَّا نتهجم على المقابر .. فوِّضي أمرك لله وهو قادر يبطله في مكانه) ،

واستسلمت لكلمات أمي واقتنعت بأنَّ الله هو القادر على شفائي حتى وإن كان في تلك المقبرة مائة ألف عمل ..

وذهبت للنوم من جديد في ذلك اليوم وكان اليوم التالي لتلك الرؤية فإذا بي أرى نفس الرؤية ونفس الحظيرة ونفس السقف ونفس الصوت ..

ذلك الهاتف الذي جاء صوته من بعيد حيث سمعته يقول لي : (العمل بتاعك أهه) ووجدت بطة مطهية تسقط من سقف تلك الحظيرة ، ذلك السقف الذي هو عبارة عن قش .. فقلت بصوت يغلب عليه الدهشة مين اللِّي جابه ؟

فأجابني الصوت (ربنا) ..

وصمت قليلاً ثم قال : (ربنا هو اللِّي جابه ربنا قادر على كل شيء) ثم اختفى الصوت من جديد ، وإذ بي أمسك بتلك البطَّة المطهية ذات اللحم الأحمر بعض الشيء وآخذ منها قطعة وآكلها وبمجرد أكلي لها وجدتني أقول : الحمد لله الحمد لله الحمد لله ..

وأفقت من نومي على تلك الكلمة .. كلمة الحمد لله .. في تلك اللحظة وجدت أمِّي تحاول إيقاظي وبمجرد أن أفقت وجدتها تقول لي : (إنتي بتقولي الحمد لله وانت نايمة) ، وقبل أن أُجيبها وجدتها تقول وكلّها سعادة (مش فيه ناس طلَّعوا عمل من قبر فتحية أم عز الدِّين وهما رايحين يدفنوا ميِّت ولقوا العمل مكتوب باسمك واسمي) .. ولم أستطع أن أتفوهَّ بكلمة ثمَّ استطردت (العمل كان مدفون في قلَّة فخار مكسورة من فوق ومدفون في القبر من جوهَّ والناس كلهم أعدوا يدعوا على اللِّي عملته) .

(وعلى فكرة لقوا في (القلَّة) حتَّة من بلوزتك وشعرك) ..

وجاءت الليلة التالية بعد تلك الليلة فإذ بي أرى في منامي رجلاً كبيراً طويل القامة في حوالي العقد السادس أو السابع من العمر ، لست أدري على وجه التحديد يرتدي جلباباً أبيض يميل للنحافة لكنه يغلب عليه الوسامة والطيبة والوداعة .. يجلس فوق فراش والدي في ذلك المنزل القديم الذي سُحرت فيه وبجواره فوق فراش والدتي سيدة ضئيلة الجسد تميل بشرتها للسمرة بعض الشيء ترتدي جلباباً أبيض هى الأخرى وطرحة بيضاء ، ثم وجدتها تضع رأسي فوق ركبتها وتهدهدني وتقول : (انتي معاكي مارد قوي أوي) كلام ربنا البسيه ماتقلعيهوش أبداً كلام ربنا أقوى من أى مارد بيطرده وأخذا يشيرا بأصبعيهما سوياً وكأنهما يطردان شخصاً ما ، ثم وجدت ورقة تظهر لي بها بعض آيات القرآن الكريم وكانت من بين تلك الآيات آية الكرسى بالإضافة لآيات أخرى كثيرة .

والغريب أنني تذكرت كل تلك الآيات على الرغم من كثرتها وقمت بكتابتها بعد استيقاظي من النوم .

ومنذ ذلك اليوم وأنا أحملها في صدري ..

وبدأت أخرج للحياة وأحسست بأنني كنت في كهف مظلم ثم خرجت منه بعد رحلة شقاء دامت عشر سنوات لم أذق فيها طعم السعادة .

كنت أشعر بأنَّ قلبي يرفرف كالطير من شدّة السعادة ولست أعلم

الأسباب بعد أن كان لا يتملكني سوى الغضب والتعاسة .

بدأت حياتي تتبدل للأفضل ولم تمر أكثر من عشرة أيام على تلك الرؤية الأخيرة ، وكانت الرؤية الفاصلة في حياتي ، وكانت عبارة عن الآتي ..

رأيت شيخاً متوسط العمر يجلس أمام مبخرة يتصاعد منها البخور ، كانت لحيته طويلة بعض الشيء فجلست بجواره وأنا أقول الله .. رائحة البخور ذكية فقال (إجلسي فوق سجادة الصلاه هذه) فجلست ثم قلت له : (جوِّزني ياسر بقه) ..

وكان ياسر هذا شخصاً أردت الإرتباط به وأنا في الجامعة ، لكن المحاولة باءت بالفشل نتيجة لتلك الأسحار اللعينة ..

لكنه أجابني وقال : (جوزك ما اسمهوش ياسر) ، وكان واضعاً كلتا يديه فوق البخور .

فقلت بتصميم أكثر (لأ اسمه ياسر) .. (انت مش عارف إنُّه بيحبني ولاَّ إيه ؟) .

فقال : عارف بس جوزك ما اسموش ياسر ! فقلت وكلِّي غضب إزَّاى أنا مقدرش أحب حد غيره ولاَّ أعيش مع حد غيره .. فقال (وهو كمان) بس جوزك واحد تاني ودا اسمه .. (بُصِّي) ..

وإذ بي أرى ورقة بيضاء كبيرة منقوش فوقها اسم زوجي الذي تزوجته بالفعل بعد ذلك ثم وجدت بعد ذلك رجلاً آتياً من بعيد متجهاً نحوي ..

وسمعت صوتاً لا أراه يقول لي : (هو دا جوزك) ..

ولم أرى وجهه لكني رأيته من الجانب الأيمن حيث كان رجلاً طويلاً عريض المنكبين مرتدياً الزِّى العسكري ، وكل ما تذكرته من ذلك الحلم تلك النجوم الكثيرة التى كانت فوق كتفه فاستيقظت من النوم وأخبرت أمِّي بأنّني سوف أتزوَّج رجلاً ذا منصب كبير ، لكنها سخرت منِّي وقالت (الجعان يحلم بسوق العيش) لكني كنت على يقين مما أقول .

ومرَّت حوالي عشرة أيام أخرى وإذا بي أقابل زوجي هذا الذي رأيته في منامي وتزوجته بالفعل وبدون حتى أن نقوم بعمل خطبة .

فقد كان الزواج بسرعة وكأنني بلا إرادة على الإطلاق وافقت عليه بسرعة وكنت سعيدة للغاية .. وكان اسمه نفس الاسم الذي ظهر لي في منامي كما كان أيضاً نفس الشكل .. أيضاً نفس النجوم المعلقة فوق زيُّه العسكري .

ووجدت الأمور تسير بسهولة شديدة عكس جميع الحالات السابقة .

أدركت في تلك اللحظة بإنَّ الإيمان بالله هو الحل الوحيد في عالمنا هذا ..

كما أدركت بأنَّ النفس البشرية نفس معقدة للغاية لا يستطيع حل لغزها سوى خالقها ..

وبعد أن سردت قصتي هذه أرجو من جميع القراء أن يتعظوا ويعتبروا مما حدث لي ..

وسألتمس العذر لأى شخص سوف يتهمني بالكذب لأنني بالفعل لا أصدق ما حدث لي برغم كل ما رأيت .. وبرغم أنني أنا التي رأيت فتلك أشياء أغرب من الخيال .

ولكن يعلم الله أنَّ كل هذا حدث لي بالفعل دون زيادة أو نقصان والشيء الطريف أنني بعد كل تلك المعاناة تزوجت وأنا في السابعة والعشرين ، وبعد كل ذلك العذاب أنجبت أطفالاً ، وبعد الحياة في عالم الموت مازلت أحيا بين البشر .. إنسانة طبيعية كغيري من البشر لا أختلف كثيراً ، فكل الاختلاف أنني دخلت عالماً مختلفاً قد يحسدني الكثيرون على أنني توغلت فيه ورأيته عن قرب ..
وقد يشفق عليَّ البعض الآخر ولكني في كل الأحوال راضية بقضاء الله .

والحمد لله الذي عافاني بعد أن مسَّني الضر ..

وشكراً لتلك السيدة التي تسببت لي في كل هذا العذاب لأنها بدون أن تدري علّمتني أشياء وأشياء ، كما قرَّبتني من الله بعد أن كنت بعيدة عنه ، أيضاً تلك المعاناة ستحسب في ميزان حسناتى فشكراً لك أيتها السيدة مع تمنياتي لك بالتوبة والهداية .. فالحياة أقصر بقصير ممَّا نتصور نحن كبشر .

وأتمنَّى أن أقول لك كلمة أخيرة : أنت أردت ولكنَّ إرادة الله الذي خلقني وخلقك فوق كل شيء وقد أراد الله لي النصر برغم كل شيء



كلمـة ...

عزيزي القارىء ..

هـذه قـصتي أرويهـا بكـل صـراحـة وجـرأة لأنـه ليس لدى ما أخجل منـه كـى أخفيـه ، فكل إنسان في هـذه الحيـاة مـعرض للظلم والإيـذاء وقـد ظلمت وضـاعت مني سنوات كثيرة في الألـم ، لكن الله سبحانه وتعـالى عـافاني بعـد أن مسني الضـر .

عـزيزي القـارىء ..

إليـك خـلاصـة تجـربتي المـريرة الصـادقـة كـى تكـون عبرة وعظة لكـل ظـالم ليعيـد حسـاباته من جـديد ويتذكر أن الله موجـود علـه يهتدي ويتـوب ، أيضاً إلى كل مظلوم كى يفـوض أمـره لخـالقـه ويقـول (حسـبى الله ونعم الوكيل) بنيـة خالصة وسيجد الله سبحانه وتعـالى حقـاً (نعـم الوكيـل) ..

